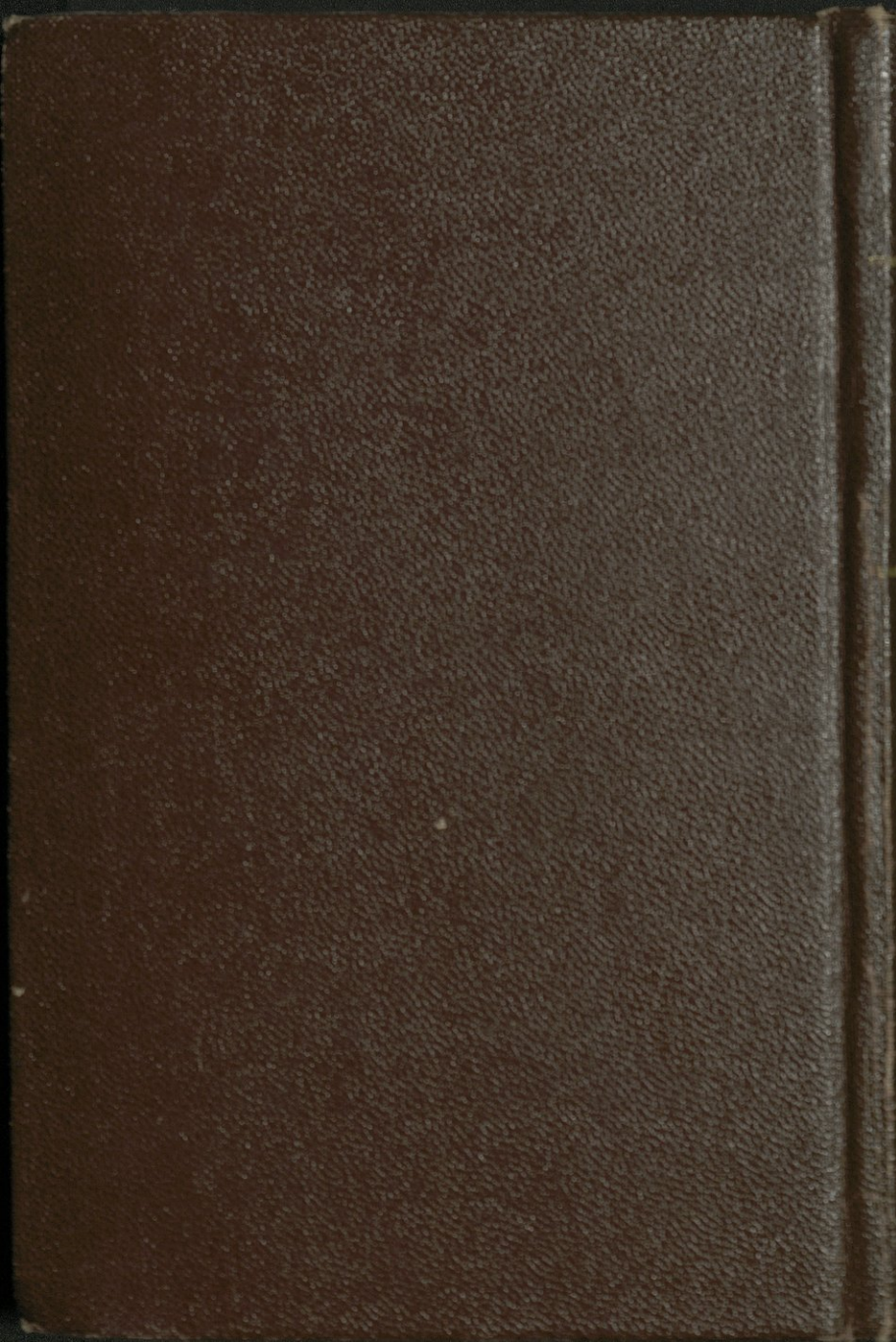
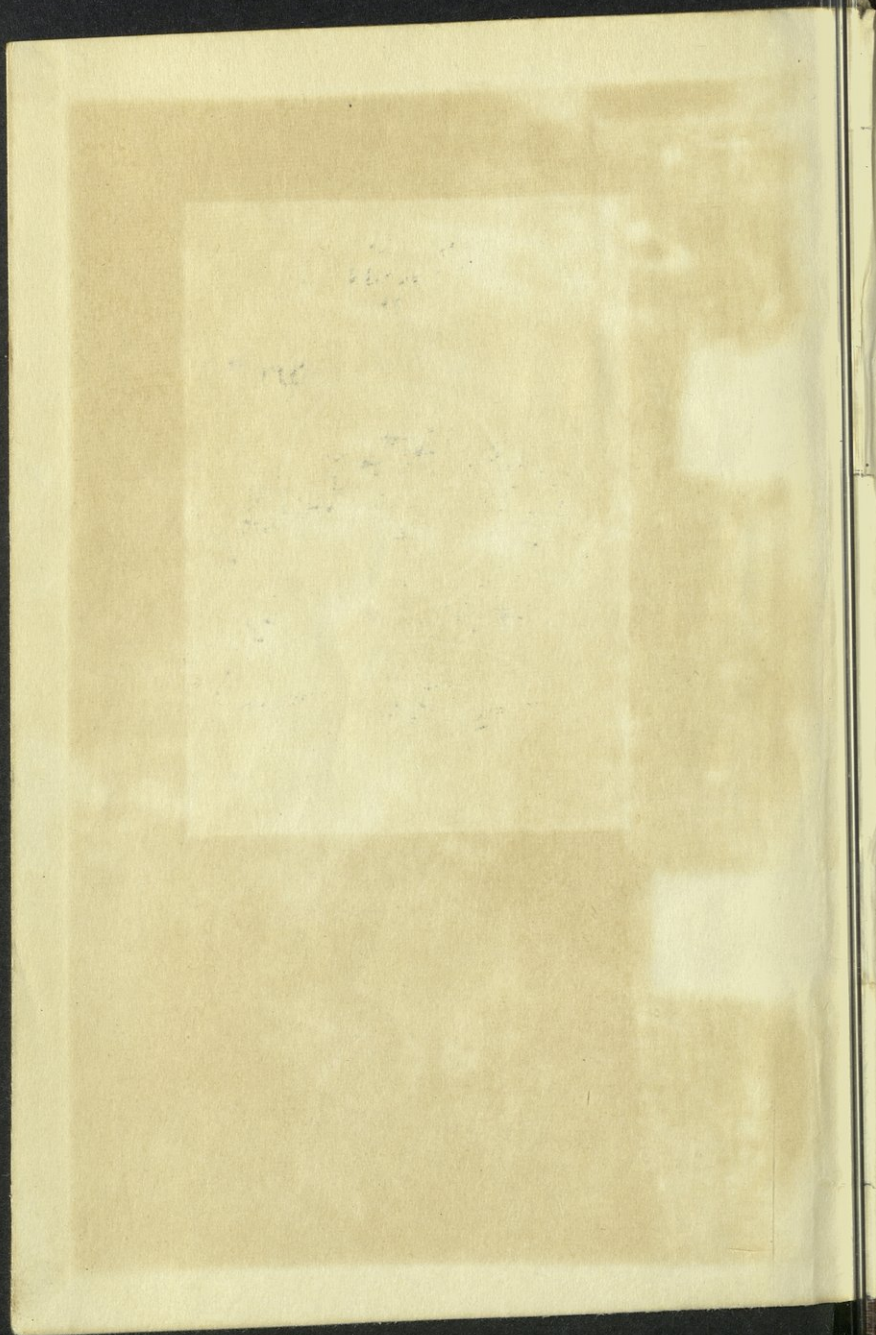


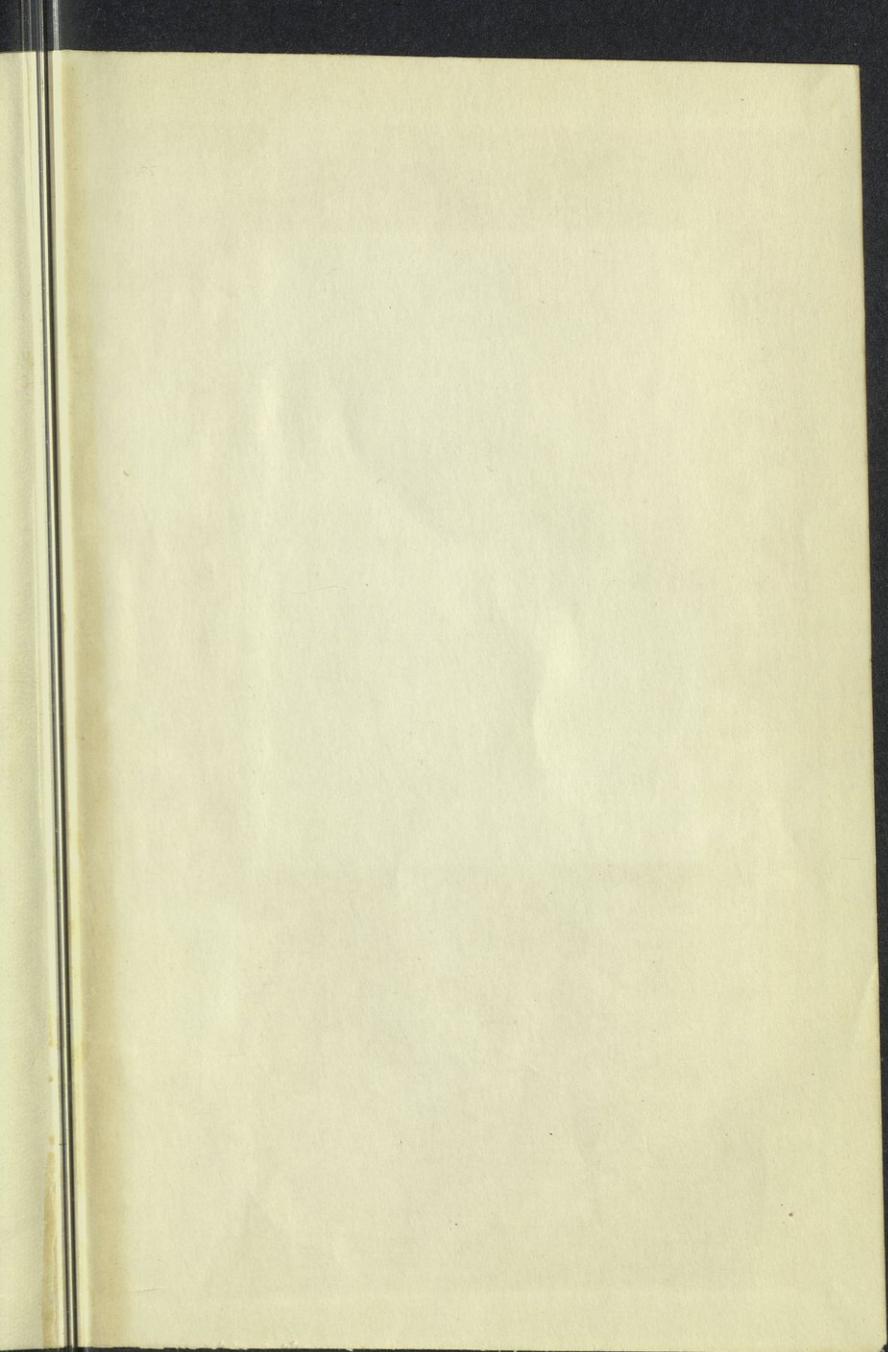


A. U. B. LIBRARY

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT













7



You should be in a
certain mood in order
to appreciate reading

اودیب
تیسویں

this good book.

ENGINEERING

كتاب آخر لآندريه جيد
أصدرته دار الكاتب المصري
الباب الضيق (تعريب نزيه الحكيم)
مع مقدمة لآندريه جيد و طه حسين

842
G450A
C.1

اندریه چید

من أبطال الأساطير اليونانية

أوديب تيسيرس

ترجمة
طه حسين

67737



دار الكاتب المصري

Cat. Mach. 1948

الطبعة الاولى . . . أكتوبر ١٩٤٦

العنوان الأصلي للكتاب
بالفرنسية

ANDRE GIDE

OEDIPE

*

THESEE

جميع الحقوق محفوظة لدار الكاتب المصرى ١٩٤٦

Mon cher André Gide,

Pour vous avoir entendu nous lire «*Edipe*» et «*Thésée*», je sais la particulière tendresse que vous avez pour eux.

C'est pourquoi je leur appris l'arabe, afin qu'ils puissent aux lecteurs de l'Orient dire votre message, qui est confiance, courage, sérénité.

Ils témoigneront aussi de cette grande admiration que j'ai pour vous, et qui, depuis notre rencontre, est devenue une si précieuse amitié.

TAHA HUSSEIN

Le Caire, le 7 Octobre 1946.

صديق أندريه جيد

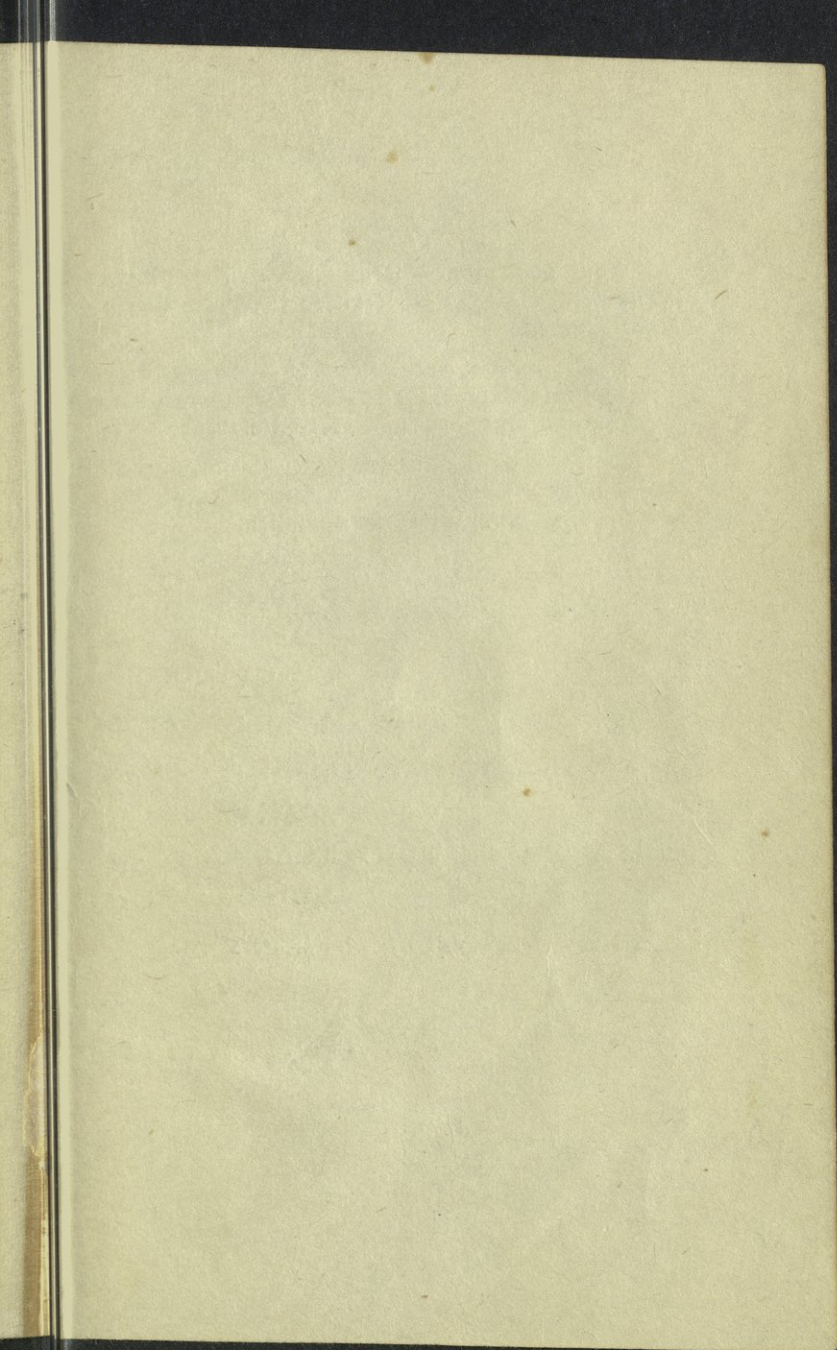
سمعتك تقرأ لنا قصتي «أوديب» و «ثيسوس» فعرفت
الحنان الخاص الذي تؤثرها به .

ومن أجل هذا علمتهما العربية لنبلنا إلى قراء الشرق رسالتك
التي هي ثقة وشجاعة واستبشار .

وسيشهدان كذلك بما أضمر من إعجاب بك قد أصبح منذ
التقينا ودأ كريماً .

طه حسين

القاهرة ، ٧ أكتوبر ١٩٤٦



مقدمة

١

كان لا يوس Laius منذ ارتقى إلى عرش ثيبا Thèbes
بحيا حياة سعيدة راضية مع زوجه چوكاست Jocaste .
ولم يكن يكدر صفو هذه السعادة إلا شيء واحد وهو
أن الزوجين لم يرزقا الولد . فخطر للملك أن يستشير أبولون
Apollon في محنته هذه لعله أن يجد له منها مخرجاً ،
وأن يتم عليه نعمة الملك السعيد المجيد الذي لا يقتصر
على شخص صاحب العرش ، وإنما ينتقل منه إلى ذريته
التي تتوارثه أجيالها إلى آخر الدهر . فلم يكن لا يوس

قصير الأمل ، ولا محدود الأمد . لم يكن يريد أن يملك
ليس غير ، وإنما كان يريد أن ينشئ أسرة مالكة .
ولكن أبولون لم يكن سمحاً ، ولا موافقاً ، فأظهر للملك
في شيء من الإلغاز ما خبأه له القضاء . أعلن إليه أنه
إن رزق الولد فسيقتله ابنه . وقد عاد لايوس من معبد
أبولون مهموماً ، شديد الحزن ، موزع النفس بين الحرص
على الحياة والرغبة في الولد الذي يرث الملك ، ويخلد الذكر .
وقد شك طويلاً أو قصيراً بين هاتين العاطفتين ، ولكنه
آثر الحياة آخر الأمر على الولد ، فرضى العقم بل رغب
فيه وحرص عليه . غير أن القضاء ماض إلى غايته دائماً ،
فهاهي إلا أن يرزق لايوس من زوجه چوكاست هذا الغلام
الذي أنذره أبولون بأنه سيذيقه الموت . هنالك استأثر
الحرص على الحياة بنفس الملك ، فازمع أن يقتل ابنه قبل
أن يقتله هذا الابن ، وأسلم الطفل إلى راع من رعاته ، وكلفه

أن يلقيه على الجبل نهباً للسباع . ولكن الراعى لم يكن قاسى القلب ولا غليظ الطبع ، فلم يُلق الطفل على الجبل ولم يقتله ، وإنما أسلمه إلى راع آخر ملك كورنت Corinth في بعض الروايات ، أو علقه إلى شجرة من أشجار الجبل من رجليه اللتين شقهما ، وجمع بينهما بحبل متين . ومهما يكن من اختلاف الروايات ، فإن الصبي لم يمت نهباً للسباع ، ولا نهباً للجوع والبرد والجراح ، وإنما تلقاه راعى كورنت فعطف عليه ورفق به . وكان ملك كورنت بوليبي Polybe شقيقاً بعقم امرأته ميروپ Mérope ، فيدفع الراعى إليه هذا الصبي ويتبناه الملك وينشئه تنشئة أبناء الملوك . وقد شب الصبي قوى الجسم والنفس جميعاً ، ماضى العزم ، صارم الإرادة ، معتدّاً بنفسه ، جاهلاً لأصله ، بعيد الأمل مع هذا كله عظيم الإطماع . ولكنه يرى من لداته وأترابه ما يريبه ، فهم يلحون له بأنه ليس ابن الملك . وهو يضيق

بهذه الريبة ويريد أن يعرف جلية أمره ، فيذهب إلى معبد
أبولون ليتبين حقيقة الأمر في وحي الإله . والقضاء صارم
حازم قاس لا يعرف رفقا ولا لينا ، وإذا أبولون لا ينبيء
الفتى بأصله ، ولا يزيل من نفسه الريبة ، وإنما يضيف
شكاً إلى شك وخوفاً إلى خوف ، فينبئ الفتى بأنه سيقتل
أباه ، وسيتزوج من أمه ، وسيقترب هاتين الخطيئتين
المنكرتين .

وكان لا يوس قد أراد أن يقاوم القضاء فيخلص من
هذا الصبي الذي سيذيقه الموت ، فانتصر القضاء على إرادة
لا يوس ، وعاش الصبي ونما حتى أصبح قادراً على اصطناع
السلاح . وهذا الفتى ينبئ أبولون بأنه سيقتل أباه ويقترب
بأمه ، فيريد أن يقاوم القضاء ، وهو لا يعرف لنفسه أباً
غير بوليب ملك كورنت ، ولا أمّاً غير ميروب ملكتها .
فليجتنب إذن كورنت ، وليأخذ طريقه إلى أى بلد آخر

بعيد عن هذه المدينة حتى لا يُغري بقتل أبيه أو اتخاذ
أمه لنفسه زوجاً . وإنه لفي بعض الطريق عند مكان شديد
الضييق ، وإذا عربة تعترضه وتأخذ عليه سبيله ، فيكون
الخصام باللسان ، ثم يكون الاقتتال ، وإذا الفتى يقتل
صاحب العربة ، وقد تفرق من كان معه من خدم وأنصار .
ويعضى الفتى لوجهه راضياً عن نفسه ، مطمئناً لحسن بلائه ،
غير مقدر أنه قد أنفذ بعض ما كتب القضاء عليه ، فقتل
أباه ، واقترب أحد الإثمين اللذين أنذره بهما أبولون .
وهو يعضى في طريقه حتى يدنو من مدينة ثيبا ، فيسمع
بأن المدينة مروعة بخطر داهم ونكر مبين . فهذا كائن غريب
قد هبط عليها من السماء أو نجم لها من الأرض ، جاءدا من
حيث لا تعلم على كل حال ، واستقر غير بعيد من المدينة
على صخرة مرتفعة يرصد من عبره من الناس ، فيأتي عابثهم
لغزه الغريب : ما كائن له صوت واحد ، يمشى على أربع إذا

أصبح ، وعلى اثنتين إذا زالت الشمس ، وعلى ثلاث إذا أقبل
 المساء ؟ وهذا الكائن الغريب الذى اتخذ جسم الأسد ،
 ورأس المرأة ، ووصل بجسمه جناحين ، والذى يسميه
 اليونان سفنكس Sphinx ، ويسميه المصريون القدماء
 بو الهول ، أو أبا الهول ، لا يعنى أحداً من الإجابة على
 هذا السؤال وحل هذا اللغز . والناس جميعاً يعجزون عن
 الإجابة ولا يجدون حلاً لهذا اللغز ، وهو يعاقبهم بالموت
 على هذا العجز والإخفاق . وقد عظم الكرب ، وعم
 البلاء ، وامتلات قلوب أهل المدينة خوفاً ورعباً ، حتى
 اضطر كريون Créon أخو الملكة چوكاست والناهض
 بأعباء الملك بعد قتل لايوس أن يذيع فى أقطار الأرض
 أن من أراح المدينة من هذه المحنة فله تاجها وله
 الملكة زوجا .

وقد سمع الفتى بأنباء هذا الكائن الخطر ، وبهذا الوعد

الرائع الذي يبذل لمن ينقذ منه هذه المدينة البائسة ، وهو
قوى الجسم والنفس ، ذكى القلب ، حديد الفؤاد ، بعيد
الآمل ، شديد الطموح ، فيقبل على أبى الهول يجرب
ذكاءه وقوته ، ويغامر بحياته فى سبيل المجد والملك .
وأبو الهول يلتقى عليه السؤال فيجيبه الفتى بأن الإنسان
هو الذى يمشى على أربع إذا أصبح لأنه يحبو فى الطفولة ،
و يمشى على اثنتين إذا انتصف النهار لأن قامته تعتدل
وتستقيم إذا شب ، ويمشى على ثلاث إذا أقبل المساء لأنه
ينحنى على العصا إذا أدركته الشيخوخة ، وقد اخم
أبو الهول وألقى بنفسه من أعلى الصخرة فمات . وظفر
الفتى بعرش ثيبا ، واتخذ الملكة له زوجا ، واطمأن إلى أنه
قد أفلت مما تنبأ له به وحى أبولون ، فلم يقتل أباه ، وأين
هو من عابر السبيل ذاك الذى قتله ! ولم يقتل بأمه ،
وأين هو من ملكة ثيبا هذه التى تزوج منها ! لقد ترك

أبويه في كورنت وأسس لنفسه ملكاً جديداً ، وقد رضى
 عن رعيته ورضيت عنه رعيته ورزق الولد . فله ابنان
 إتيوكل Etéocle وپولينيس Polynice ، وله ابنتان
 أنتيجون Antigone وإسمين Ismène . وهو يرى نفسه
 سعيداً موفوراً راضى النفس رضى البال . ولكن
 المدينة تُمْتَحِن ذات عام بوباء يفسد عليها أمرها كله
 فساداً عظيماً ؛ فقد هلك الزرع وجف الضرع وأسرف
 الموت في كل حي ؛ فالطير تساقط من السماء ؛ والماشية
 تخر إلى جنوبها ، والناس يستبقون إلى القبور حتى تضيق
 بهم وحتى يعجز بعضهم عن دفن بعض ، وقد عم البلاء
 وعظم الكرب واشتدت المحنة حتى بلغت أقصاها . وأهل
 المدينة يستعطفون الآلهة بالضحايا والقرايين ويتوسلون
 إليهم بالصلاة والدعاء ، فلا يغنى عنهم هذا كله شيئاً . وهم
 قد هرعوا إلى ملكهم يفزعون إليه ويستعينونه ، فيرسل

الملك إلى معبد أبولون من يؤامر الإله ويستشير في هذا
البلاء العظيم . ويعود رسول الملك إليه يحمل جواب
الإله واضحاً غامضاً ومُعمًى صريحاً ، كما تعود أبولون
أن يجيب دائماً . أجب أبولون بأن الآلهة لن يكشفوا
الضر عن هذه المدينة إلا إذا تأرت للايوس
من قاتله .

ولم يكذ الملك يتلقى هذا الجواب حتى أعلن في حزم
وصرامة أنه باحث عن هذا القاتل ومنزل به أشد العقاب ،
وأنه يطلب إلى أهل المدينة أن يعاونوه على ذلك في غير تردد
ولا ضعف مهما يكن هذا القاتل . ثم هو لا يكتفى بذلك
بل يستنزل اللعنات وغضب الآلهة على هذا المجرم الذي قتل
ملكاً وعرض المدينة لشر عظيم . ولكن الملك لا يكاد
يبحث عن هذا المجرم حتى تتبين له الحقيقة منكرة بشعة ،
فهو المجرم الذي قتل لايوس هناك في ذلك المكان الضيق .

وهو الآثم الذى اتخذ أمه له زوجا وعاش معها فى هذا القصر وأولدها أبناءه الأربعة .

ليس فى ذلك شك ، واسمه نفسه يدل على ذلك دلالة قاطعة ، فهو أوديب Œdipe ذو الرجل المتورمة ، ورجله متورمة حقاً من أثر ذلك الثقب الذى علق به إلى الشجرة فى طفولته الأولى على الجبل . يعرف ذلك من الراعى الذى كلف قتله ، ويعرف ذلك من الراعى الذى أنقذه من الموت وأسلمه إلى ملك كورنت . هنالك يتبين أوديب وتبين چوكاست أن لا مردّ لما كتب القضاء . فلم يغن عن لايوس تخلصه من الصبي ، فقد عاش الصبي حتى قتله . ولم يغن عن چوكاست تخلصها من الصبي فقد عاش الصبي حتى اقترن بها . ولم يغن عن أوديب فراره من قصر كورنت وتجنبه ملكها وملكته هرباً من الإثم ، فلم يكن من هذين الزوجين فى شئ . وإنما هو ابن لايوس وقد قتل

لايوس ، وابن چوكاست وقد تزوج من چوكاست . والمهم أنه قد عرف القاتل الذي يجب أن يثار منه لتخلص المدينة من هذا البلاء ، فيجب أن يثار من نفسه إذن ، فإن لم يفعل فستثار منه المدينة التي لم تكن ترى فيه ملكاً خسب ، وإنما كانت ترى فيه شيئاً يشبه الإله .

فأما چوكاست فلم تكذب تظهر على الحقيقة البشعة حتى خنقت نفسها . وأما أوديب ففقاً عينيه بيديه حتى لا يرى الضوء .

وتختلف الروايات بعد ذلك أو قل تختلف الروايات

قبل ذلك ، ويزيد في اختلافها فن شعراء الممثلين الذين اتخذوا هذه القصة موضوعاً للتمثيل ؛ فقوم يرون أن چوكاست لم تقتل نفسها ، وإنما عاشت حتى رأت اختلاف ابنها على العرش وتساقيهما الموت ، ولم تقتل نفسها إلا بعد أن رأتها صريعين . وقوم يرون أن أوديب قد نفي

نفسه من الأرض بعد أن فقا عينيه وهام غريباً تقوده
ابنته أنتيجون حتى انتهى آخر الأمر إلى ضاحية من
ضواحي أثينا مات فيها. وآخرون يرون أنه لم ينف نفسه ،
وإنما نفاه ابنه بعد أن وليا الملك . وآخرون يرون أن
ابنيه قد أمسكاه في القصر ولم ينفياه ، وإنما نفاه كريون
بعد أن مات ابنه ، فلجأ إلى الضاحية الاثينية ومات فيها .
هذه هي القصة التي روتها الأساطير اليونانية منذ أبعاد
العصور ؛ فقد تحدثت بها الأوديسة *L'Odyssée* في
نشيدها الحادى عشر ، كما تحدثت بها أقاصيص ثيبا نفسها
بعد ذلك .

٢

والشعراء الممثلون من اليونان يعتمدون في تمثيلهم
بحكم الفن نفسه وبحكم الدين أيضاً على الأساطير . فالأبطال

القدماء هم موضوع المأساة اليونانية التي تصور حياتهم
أو تصور ما يمتاز به حياتهم من المحن والخطوب . وتصوير
هذه المحن التي أُلْت بالأبطال وعرضها على النظارة في ملاعب
التمثيل شيء كان الآثينيون يرونه فنًا ويرونه دينًا . فيه
الجمال الأدبي الذي يعط النفس ويذكى القلب ويثير العاطفة
وينمي الفضيلة ويرفع الإنسان عن صفائر الحياة إلى
جلائل الأمور ، وفيه تقديس الآلهة وتمجيد الأبطال
والإشادة بالتقديم وما فيه من ماسم كتب لها الخلود .
وقد كان اليونان قبل أن ينشأ فن التمثيل وقبل أن ينشأ
فن الغناء نفسه يتقربون إلى آلهتهم بإنشاد الشعر القصصى
والاستماع له . ثم نشأ الغناء فتقربوا به إلى الآلهة ، يتغنون
حياة الأبطال وحياة الآلهة وما عرض لهم فيها من خير
وشر . ثم نشأ فن التمثيل فتقربوا به إلى الآلهة كما كانوا
يتقربون بالقصص والغناء . ومن أجل هذا كله تغيرت صور

الفن الشعري عند اليونان ولم يتغير موضوعه . فالأبطال والآلهة هم موضوع القصص في الإلياذة والأودسة ، وهم الموضوع الأساسي لغناء المغنين ، وهم الموضوع الأساسي لتمثيل الممثلين أيضاً . ومع ذلك فتغير الصورة له خطر العظيم وإن بقي الموضوع ثابتاً مستقرّاً ، ذلك أن الصورة لم تتغير إلا لأن النفس اليونانية قد تغيرت بحكم ما أحاط بالشعب اليوناني من الظروف . فقد كان القصص اليوناني صورة لحياة الجماعة لا يكاد يظهر فيها من الأفراد إلا شخصية الآلهة والأبطال ، بل لا تظهر فيها شخصية الشاعر نفسه . فلما ارتقت الحضارة وذاكت القلوب وقويت شخصية الفرد ، تغيرت صورة الشعر ، فظهر شخص الشاعر أولاً وأصبح الشعر لا يضاف إلى شاعر مجهول يسمى هوميروس مهما يكن موضوعه ، وإنما يضاف إلى شعراء معروفين يراهم الناس ويتحدثون إليهم

ويتحدثون عنهم ، وأصبح الشعر لا يصور الآلهة والأبطال
الممتازين وحدهم ، وإنما يصور شخصية الشاعر نفسه ،
ويصور معها شخصية كثير من الأفراد ، وما يجدون من
لذة وألم ومن حب وبغض ومن عاطفة وشعور بوجه عام ،
ثم أصبح الشعر لا ينشد إنشاداً يسيراً تسنده بين حين
وحين نغمات ساذجة توقع على أداة ساذجة من أدوات
الموسيقا ، وإنما ينشد إنشاداً معقداً يتشكل فيه الصوت
بالأشكال المختلفة التي يقتضيها الغناء ، وتسنده وتريح منه
أحياناً أدوات موسيقية كثيرة مختلفة ، ويسنده الرقص
أيضاً بحيث يوشك أن يشبه الأوبرا في عصرنا الحديث
لولا أنه كان يخلو من حركة التمثيل . ثم تتقدم الحضارة ،
ويرقى العقل ، وتقوى الشخصية ، وتظفر الشعوب في
المدن بحقوقها السياسية ، فتتغير صورة الشعر . وإذا
الحوادث التي كانت تقص في الشعر القصصى ، وتغنى

في الشعر الغنائي ، قد أصبحت تعرض على النظارة في ملعب التمثيل يجريها الشاعر على أيدي أشخاص يمثلون الأبطال والآلهة أنفسهم . وهذا التمثيل نفسه لا يخلو من الغناء والرقص توقعهما الجوقة وقد يشارك فيهما كليهما أو أحدهما الممثلون . وقد أصبح جمهور النظارة ذا شأن خطير ؛ فهو يشارك في حفلات التمثيل لا بشهود التمثيل فحسب ، ولكن كذلك بالقضاء بين المستبقيين من الشعراء الممثلين . وقد كان الشعراء يشاركون بأنفسهم في التمثيل أول الأمر ، ثم نشأت طائفة الممثلين المحترفين ، وجعل الشعراء يكتفون بإنشاء الشعر وإرشاد الممثلين وأعضاء الجوقة .

كذلك كانت الحال في القرن الخامس قبل المسيح حين عرض الشعراء الثلاثة الممتازون : إيسكولوس Eschyle وسوفوكل Sophocle وأوريبيد Euripide حياة الأبطال

والآلهة فعرضوها في الملاعب على النظارة من الاثنينين .
 وكان من نتيجة هذا كله أن هؤلاء الشعراء وغيرهم
 من الشعراء الممثلين كانوا يرون من الطبيعي والمألوف
 أن يعرضوا للموضوعات التي سبقهم إليها القصاص
 والمغنون ، فينشئوا فيها قصصهم التمثيلي ، بل كان من
 الطبيعي والمألوف أن يعرض المتأخر منهم لما عرض له
 المتقدم ، لا يجدون في ذلك حرجا ، بل يجدون فيه سبيلا
 إلى الإبداع والإتقان . فقصّة أوديب مثلا قد عرض لها
 إيسكولوس ثم عرض لها بعده سوفوكل ، ثم عرض لها
 بعدها أوريبيد ، ثم عرض لها شعراء آخرون من اليونان
 لم يجد أحدهم في ذلك حرجا . وهذه السُنّة التي سنّها اليونان
 قد انتقلت منهم إلى غيرهم من الأمم ؛ فالرومان في العصر
 القديم حين حاولوا التمثيل اتخذوا أكثر الموضوعات
 لقصصهم من التمثيل اليوناني نفسه . فقصّة أوديب مثلا

عرض لها منهم غير شاعر . وامتازت قصة سينيك Sénèque من هذه القصص التي وضعها الشعراء اللاتينيون . وجرى الأمر على ذلك بعد النهضة الأوروبية في العصر الحديث ، فاستعار شعراء التمثيل من الإنجليز والألمان والإيطاليين والفرنسيين خاصة موضوعات شعرهم التمثيلي من تمثيل اليونان والرومان . وقد وضع الشاعر الإنجليزى دريدن Dryden في القرن السابع عشر قصة أوديب ، كما وضع الشاعر الإيطالى ألفييري Alfieri في القرن الثامن عشر قصة أوديب أيضاً . أما الفرنسيون فقد فتن شعراؤهم وكتابهم بقصة أوديب منذ أواخر القرن السادس عشر إلى الآن . ولست أحصى شعراءهم الذين عرضوا لهذه القصة ، وإنما أذكر أن كورنى Corneille قد وضع قصة تمثيلية لأوديب فُتن بها معاصروه ، وأن فولتير Voltaire قد وضع في أول القرن الثامن عشر قصة لأوديب كثر حولها الحديث والنقد ،

وأن شاعرين فرنسيين هما دي سيس Ducis وشينيه^(١) M. J. Chénier وضعا قصتين لأوديب في آخر القرن الثامن عشر وأول القرن التاسع عشر. أما في هذا القرن العشرين فقد عني بأوديب الكاتب الفرنسي العظيم أندريه جيد André Gide في القصة التي تترجمها في هذا السفر، كما عني به الكاتب الشاعر المعروف جان كوكتو Jean Cocteau في قصته المشهورة «أداة الجحيم».

فأنت ترى أن السنة اليونانية التي أتاحت للشعراء ألا ينفروا مما سبقوا إليه قد أصبحت سنة أدبية إنسانية شائعة على اختلاف العصور. وأنت ترى كذلك أن قصة أوديب وحدها قد شغلت شعراء كثيرين في الأمم المختلفة على اختلاف العصور، وما زالت تشغل الشعراء والكتاب إلى الآن. وأكبر الظن أنها ستشغلهم دائماً.

(١) هو أخو الشاعر الفناي العظيم أندريه شينيه.

٣

ولا أكاد أذكر من القصص اليوناني القديم الذي مُشغِل
 به المحدثون شيئاً تجاوز القرن السابع عشر والثامن عشر إلا
 قصة « أفيغيني في توريس » *Iphigénie en Tauride* التي
 عني بها جوت ، وقصصاً قليلة أخرى طفت في القرن العشرين ،
 أعظمها خطراً قصة « أوديب » هذه وقصة « إلكتر »
Electre و « أمفثريون » *Amphytrion* وقد جددها
 جان جيرودو Jean Giraudoux ، وقصة أنتيجون وقد
 جددها جان كوكتو بين الحربين ثم جددها جان أنوي
 Jean Anouilh في هذه الأعوام الأخيرة وهناك قصص
 تمثيلية معاصرة جدت أو حاولت أن تجد بعض
 القصص التمثيلي اليوناني القديم ، ولكنها لم تبلغ الملعب
 أو لم تظهر فيه بفوز باهر ونجح عظيم .

ولعل المحدثين المعاصرين يؤثرون أن يشهدوا القصص اليوناني يعرض عليهم كما تركه أصحابه مع قليل أو كثير من التغيير ، إلا أن يوجد الكاتب الممتاز الذي يستطيع أن يدل بالقصة اليونانية على أكثر مما وصل إليه الشاعر اليوناني القديم ، أو أن يعرضها في شكل أشد ملاءمة لروح العصر الحديث .

وهذا هو الذي فعله جيرودو حين اتخذ أكثر رمزا لا للانتقام وحده كما فعل القدماء بل للعدل أيضاً . للعدل الذي يجب أن تبلغه الإنسانية وأن تضحى فيه بكل شيء مهما تكن التضحية قاسية ومهما تكن الضحية غالية ، والذي لا يحفل بانثلال العروش وانهيار النظم وإزهاق النفوس وسفك الدماء وصب الدمار على المدن ، بل يرى في ذلك كله إيذاناً بطلوع فجر جديد . وكما فعل جان بول سارتر Jean-Paul Sartre في قصة « الذباب » حين أراد

أن يجدد مأساة إلكترا فجعل آخاها هو البطل . ولم يكتف
 بفكرة الانتقام من الأم التي خانت زوجها وقتلته ، ولا
 بفكرة العدل التي قصد إليها ووقف عندها جيرودو ،
 ولكنه عني بالحرية الإنسانية التي وقفت أورست موقف
 الثائر على دوس Zeus المعارض له ، والتي تقف الإنسان
 الحديث موقف الثائر على كل شيء المزدرى لكل شيء إلا
 حريته التي تجعله إنسانا يوجد ليعمل ما يشاء أن يعمل وليقول
 ما يشاء أن يقول ، غير حافل إلا بنفسه ولا واقف إلا
 عند نفسه .

إلى شيء من هذا التجديد الأساسى الخطير قصد
 أندريه جيد حين وضع قصته التمثيلية « أوديب » مجددا
 هذه القصة كما تركها سوفوكل ، غير واقف عند ما انتهى إليه
 سوفوكل ، ولا حافل بما بلغه كورنى أو فولتير أو غيرها
 من الشعراء والكتاب المحدثين . وقد يحسن أن نتبين

قبل كل شيء إلام أراد سوفوكل حين وضع قصته هذه التي صور فيها مأساة أوديب؟ وقد أضاعت الأيام ما ترك إيسكولوس وأوريبيد وغيرهما من الشعراء القدماء حول هذا الموضوع بحيث أصبحت قصة سوفوكل هي النموذج القديم الوحيد الذي ألهم المحدثين من الأوربيين. وواضح أن سوفوكل إنما قصد في هذه القصة كما قصد في أكثر قصصه الأخرى إلى ما يصور لنا صرامة القضاء من جهة وحرية الإنسان من جهة أخرى، وإلى أن يلائم بين هذين الضدين المختصمين على نحو ما. فالقضاء صارم قاس بالقياس إلى أوديب وإلى أبويه في هذه القصة، وهو صارم قاس بالقياس إلى أبنائه في قصة أخرى هي قصة أنتيجون. القضاء صارم قاس لأنه قد كتب في غير حكمة بينة للإنسان على لا يوس أن يموت مقتولا بيد ابنه، وكتب على چوكاست أن تقتل نفسها بعد أن تتورط في إثمها ذاك

البشع الشنيع ، وكتب على أوديب أن يكون قاتلا لاييه
متزوجا لآله مسببا لموتها فاقثا عينيه بيده . ومن البين
أن أحدا من هؤلاء الأبطال لم يكن حاضرا حين كتب
القضاء ما كتب ، ولم يقترب قبل وجوده إنما يغرى به
القضاء ويساط عليه قسوة الأقدار . فهناك إذن علة خفية
لا يدركها إلا إنسان تدفع القضاء إلى أن يدبر أمر الناس
والآلهة كما يشاء . ومن يدري ! لعل هذه العلة الخفية
لا وجود لها ، ولعل القضاء يمضى كما يريد لا يخضع لقانون
ولكنه على كل حال صارم قاس بالقياس إلى الآلهة والناس
جميعا . غير أن الإنسان ليس خاضعا خضوعا كاملا شاملا
مستسلما لهذا القضاء ، وإنما هو مستمتع بشئ من الحرية
قد يكون قليلا وقد يكون ضئيل الأثر وقد لا يكون له
أثر ما ، ولكنه موجود على كل حال . وآية ذلك أولا أن
الإنسان يريد أن يعرف ما أضمر له القضاء يُعمل في ذلك

عقله ويستنبي عن ذلك وحى الآلهة ؛ فهو إذن لا يخضع
لأحكام القضاء غير عالم بها أو غير مفترض لوجودها كما
يخضع لها الحيوان وكما تخضع لها الكائنات الأخرى التى
تألف منها الطبيعة . وليس قليلا أن يتلقى الإنسان
ما كتب له من خير وما قضى عليه من شر وهو عالم به
وعالم بالمصدر الذى يسوقه إليه أو يسلطه عليه .

وهناك آية ثانية على حرية الإنسان أمام القضاء ؛
فهو لا يطمئن إلى العلم بما كتبت الأقدار عليه ، وإنما
يحاول أن يخلص مما قضى عليه من الشر . وليس المهم
أن ينجح أو يخفق فى هذه المحاولة وإنما المهم أن يحاول .
فلأيوس وچوكاست يعلمان أن ابنهما سيقتل أباه ويتزوج
أمه ، فيحاولان التخلص من هذا الشر بقتل الصبي قبل
أن ينمو ويقترب هذه الآثام ، ولا عليهما بعد ذلك أن
يفلت الصبي مما دبراه من الموت . وأوديب يعلم بما دبر

القضاء له ، فيفر من قصر الملك في كورنت محاولاً أن يتجنب
 الإثم ، ولا عليه بعد ذلك أن يقتل لا يوس ، فلو قد عرف
 أنه أبوه لما قتله ، ولا عليه أن يتزوج چوكاست فلو قد
 عرف أنها أمه لما اقترن بها . وهناك آية أخرى على حرية
 الإنسان أمام القضاء ، وهي أعظم من هاتين الآيتين خطراً
 وهي التي يصورها لئاسوفوكل في قصة «أوديب ملكاً» ،
 ولكنه يصورها تصويراً أعظم روعة وأكثر جلاء في قصته
 الأخرى «أوديب في كولونا» ، وهي أن الإنسان حين
 يعجز عن رد القضاء لا يرى نفسه منهزماً ولا يرى نفسه
 مسئولاً عما تورط فيه من الإثم . فهو يؤمن بأن التبعة
 يجب أن تكون نتيجة للحرية وأن يكون حظ الإنسان
 من هذه التبعة ملائماً لحظه من الحرية ، فأوديب تدفعه
 الغريزة الإنسانية الأولى كما تدفعه التقاليد الموروثة إلى
 أن يعاقب نفسه حين يستكشف الإثم المروع الذي تورط

فيه ، ولكنه بعد شيء من التفكير يستطيع أن يثبت للقضاء وأن يقف من الآلهة موقف المدافع عن نفسه المحتج لها ، لأنه لم يرد قتل أبيه ، ولم يقتله وهو يعلم أنه أبوه ، ولم يرد الزواج من أمه ولم يتزوج منها وهو يعلم أنها أمه . فإن كان في هذا كله إثم فليس هو المسئول عن هذا الإثم ، وإنما يسأل عنه القضاء الذي دبره والآلهة الذين ضللوا أوديب حتى تورط فيه على كثرة ما حاول تجنبه والتخلص منه . هو إذن برىء أمام نفسه ، ولا عليه أن يراه الناس بريئاً أو أن يتهموه ويحكموا عليه . على أن أوديب لا يكتفى بذلك وإنما يريد أن يقنع القضاء والآلهة أنفسهم ببراءته ، وهو يبلغ من ذلك ما يريد ؛ فقد رضى الآلهة عنه آخر الأمر فأووه إلى هذه الضاحية من ضواحي أثينا ، وألقوا عليه السكينة ، وأشاعوا في نفسه الطمأنينة والأمن ، وجعلوا جثته مصدر بركة للبلد الذي تدفن فيه .

وهم قد عاقبوا مدينة ثيبا فأثاروا فيها الفتنة بين الاخوين
الملكين ، وحرموها هذه البركة المتصلة بشخص أوديب
حين قضاوا ان يموت غريباً وأن يدفن في بلد غريب .

وإذن فقد انتهت حرية الإنسان إلى شيء من الفوز .
لم تستطع أن تجنب صاحبها المحنة ولا أن تنقذه من الشر
في هذه الحياة ، ولكنها قد صفت نفسه وطهرت قلبه
واستخلصته من الآثام كما يستخلص المعدن النقي مما يحيط
به من الخبث . فليست هذه المحنة إذن إلا تجربة لحرية
الإنسان ، ووسيلة إلى تصفية نفسه وتنقية جوهره إن
استطاع أن يثبت للآلام وينفذ من الخطوب .

إلى هذا كله أراد سوفوكل حين كتب قصتيه اللتين
صوّر في إحداهما محنة أوديب ملكاً ، وفي أخراهما نجاة
أوديب منفيّاً بالأسا طريداً . ويجب أن نعترف بأن الذين
أرادوا أن يقلدوا سوفوكل لم يبلغوا مما أرادوا شيئاً

فا خطر ، لا أستثنى منهم إلا المعاصرين من الكتاب
الفرنسيين .

فالكاتب الشاعر الفيلسوف سينيك لم يصف إلى
ما ابتكر سوفوكل شيئاً ، ولعله أضاع منه أشياء .
وإذا كان لقصته شيء من جمال فأكبر الظن أنه إنما
بأتيها من روعة الفصاحة اللاتينية ومن بعض الخواطر
الفلسفية العابرة .

أما كورنى فقد كان مفتوناً بقصته ، ويظهر أن
معاصريه منحوا قصته هذه غير قليل من الرضا والإعجاب ؛
ولكن كورنى فيما أعتقد قد أفسد قصة أوديب إفساداً
عظيماً . رأى أن يلائم بين القصة وبين ذوق البيئة التي
كان يكتب لها ، وقد لاحظ أن تلك البيئة لم تكن تتصور
قصة تمثيلية تخلو من الحب ، ومن الحب الذي يكون له في
المأساة نفسها أثر خطير . وليس في قصة سوفوكل حب أو

شيء يشبه الحب ، فاضطر كورنى إلى أن يحدث حباً ذا
 خطر ، واضطر من أجل ذلك إلى أن ينشئ للايوس بنتا
 تكبر أوديب سنًا ، وأن ينشئ بين هذه الفتاة وبين
 ثيسوس Thésée ملك أثينا حباً ، وأن ينشئ بين هذه
 الفتاة وبين أوديب خصومة حول هذا الحب من جهة
 وحول العرش من جهة أخرى . فلم تكن الفتاة تعرف أن
 أوديب أخوها ، وهى من أجل ذلك كانت تراه غاصباً
 لعرش أبيها . ولم يكن أوديب يعرف أن الفتاة أخته
 فكان يؤثر أن يزوج ملك أثينا من إحدى ابنتيه .
 وكانت چوكاست حائرة بين بناتها الثلاث وبين زوجها .
 والغريب أن كل هذه الخصومات حول الحب والغيرة
 كانت تشغل الملك والملكة والحاشية والقصر كله فى
 نفس الوقت الذى كان الوباء يمصف فيه بالمدينة
 عصفاً شديداً ، ولا تشغل بالقصة نفسها إلا حين توشك

الفصول أن تنتهى ، هنالك تثار العقدة ويعلم الملك ومن حوله أن الآلهة غضاب ، وأن هناك مجرمًا يجب أن ينزل به العقاب ، ثم يستبين للملك أنه هو المجرم فلا يفقد صوابه ولا يأخذه الهول ، وإنما يتحدث إلى أخته فى حبها لملك أثينا وفى زواجها من هذا الملك ، ثم يعصف الندم بنفسه آخر الأمر حين تموت چوكاست فىفقأ عينيه . وقد لاحظ كورنى كذلك أن البيئة التى كان يكتب لها كانت من الترف ورقة الشعور بحيث كان يسوءها أن يظهر أمامها أوديب دامى الوجه بعد أن فقأ عينيه ، فلم يُظهر الملك أمام النظارة وإنما قص آخرته وآخرة الملكة عليهم فى شعر قد يكون جميلاً رائعاً ، ولكنه لا يغنى عن الصورة الماثلة أمام النظارة شيئاً .

وقصة كورنى بعد ذلك لا تضيف فكرة جديدة إلى القصة اليونانية . ولست أدرى أمن الحق أن تسمى أوديب ،

أم من الحق أن تسمى درسيه Dircée وهو اسم الفتاة التي اخترعها كورنى والتي تدور عليها القصة وعلى حبا أكثر مما تدور على أوديب وعلى محنته . وقد نقد فولتير قصة سوفوكل نقداً مفصلاً مسرف التفصيل . قاسه بمقياس العصر الذى كان يعيش فيه ، فأظهر القصة اليونانية منحلة متهاكة لا قوام لها من منطق ولا من دقة ، ولا تكاد تظفر بحظ من إتيقان . ثم عطف على قصة كورنى ، فلم يعفها من النقد اللاذع الشديد . ثم أذاع قصته هو ، فإذا هى شر من قصة كورنى ، لم تضاف إلى القصة اليونانية جديداً ، ولم تظفر من الجمال اللفظى بما ظفرت به قصة كورنى العظيم . ويكفى أن نلاحظ أن فولتير قد وقع فى نفس التخليط الذى وقع فيه كورنى ، أراد أن ينشئ حباً فى هذه المأساة ؛ لأن البيئة الفرنسية التى كان الأدباء يكتبون لها كانت تريد الحب فى التمثيل . أراد أن

ينشئ حباً إذن ، فلم يجعل الايوس بنماً كما فعل كوردي ،
ولكنه استكشف لچوكاست عاشقاً قديماً هو فيلوكتيت
Philoctète ، وقد عاد فيلوكتيت إلى ثيبا ليعيش قريباً من
عشيقته ، ولكنه يعلم أن زوجها قد قتل فيستأنف حبه
القديم ثورة جامحة ، إلى آخر هذا العبت الذي لا يزن شيئاً
بالقياس إلى جد الشاعر اليوناني العظيم . على أن من الحق
أن نعتذر عن فولتير ؛ فقد كان في التاسعة عشرة من عمره
حين أنشا هذه القصة . والشئ المحقق أن الشعارين
الفرنسيين قد عنيا بالبيئة أكثر مما عنيا بالموضوع ، فأرضيا
قوما كانوا يحبون أن يلهوا ، ويكرهون أن يشقوا على
أنفسهم بالتأمل والتفكير فضلاً عن أن يشقوا على أنفسهم
بالنظر إلى المناظر التي تؤذى شعور الغانيات المترفات .
ولأدع ما حاول الشعراء والكتاب بعد فولتير من
تجديد قصة أوديب لأصل إلى هذه المحاولة الأخيرة التي

أقدم عليها أندريه جيد و جان كوكتو بين الحريين . وهما قد أقدما على هذه المحاولة في وقت واحد ، لم يسبق أحدهما صاحبه ، ولم يعلم أحدهما بمحاولة صاحبه إلا بعد أن أظهر كل منهما قصته . والفرق عظيم جداً بين القصتين . فاما جان كوكتو فيسرف في التجديد والابتكار إسرافاً شديداً لا يدعو به إليه تعمق الفكرة التي تدور القصة حولها ، وهى فكرة الصراع بين سلطان القضاء وحرية الإنسان ، وإنما يدعو به إليه الفن نفسه ، الفن الخالص الذى يروع النظارة ويبهزهم ويحرص على أن يسحر أعينهم وأذانهم وعقولهم أكثر مما يحرص على أن يدعوهم إلى التأمل والتعمق والتفكير . فجان كوكتو ليس متهاكاً على الجذ ولا ممعناً فيه ، ولعله يبغض التقيد بأصول الفن المقررة ، فأحرى أن يبغض التقيد بقصة الشاعر اليونانى القديم . وهو من أجل ذلك يبتكر بطلاً جديداً هو أوديب ، ويحيطه

بظروف توشك ألا تستبقى من اليونانية إلا الأسماء دون الحقائق ، وهو يعقّد قصته تعقيداً ويخالف فيها بين المناظر والفصول ، لا يتقيد بوحدة في الزمان ولا في المكان ولا في الحركة ، وإنما يكتفى بوحدة الموضوع .

فقصته تبدأ منذ قتل لا يوس ، وتنتهى بعد أن يفقأ أوديب عينيه . وإذن فهي تستغرق نحو عشرين سنة . تبدأ القصة حين تعرف المدينة مصرع الملك من جهة وحين يمتحنها أبو الهول بلغزه من جهة أخرى . ونحن نرى في الفصل الأول ظل الملك القليل يظهر لبعض الجند يريد أن يرى الملكة والكاهن ليحذرهما من خطر عظيم . ونحن نرى الملكة والكاهن يصعدان إلى حيث كان يظهر ظل الملك القليل ، فنرى ملكة شابة حاوة الدعابة خفيفة الروح ، خائفة من ظل زوجها ، خائفة من الأحداث التي يمكن أن تلم بها ، محبة مع هذا كاهن الحياة ولذاتها ، لا تكره أن

تداعى الكاهن الذى يداعبها أيضاً ، ولا تكره أن
تلاعب الجنى الشاب الذى رأى ظل الملك القليل ،
وتظهر ميلاً شديداً إليه .

ونحن نرى فى فصل آخر ما يكون من الصراع بين
أوديب الفتى المغامر وبين أبى الهول . ثم ما يكون من
انتصار الفتى . ونحن نرى فى فصل ثالث زفاف چوكاست
إلى الملك الشاب ونشهد أول الشر ؛ فالسكاهن محنق على
أوديب مشفق منه ، وليس كريون أقل منه حنقا ولا
إشفاقاً . ثم نرى نحن آخر الأمر ظهور الحقيقة ومصرع
چوكاست ، ونرى أوديب وقد فقأ عينيه ونفى نفسه من
الأرض وهم أن يخرج من القصر تقوده ابنته أنتيجون ،
وإذا ظل أمه وزوجه چوكاست يظهر ، فيراه أوديب
الضرير ولا يراه المبصرون من حوله ، ويتحدث فيسمعه
أوديب ولا يسمعه الآخرون من حوله ، وإذا چوكاست

تنبيء ابنها بأن الموت قد طهرها من الزوجية الآثمة ولم
يبق لها إلا الأمومة البرة ، وهي قد أقبلت لتقود ابنها
إلى منفاه وتعينه على احتمال الغربة .

فالقصة كما ترى رائعة بما فيها من اختلاف المناظر
وبراعة الاختراع وحسن التحدث إلى الحس والشعور .
ويظهر أن هذا كله يرضى الجمهور الضخم من النظارة
الباريسيين . فأما التحدث إلى العقل وأما مواجهة
المشكلات العليا وأما الصراع بين الدين والحرية فأشياء لم
يكن يحفل بها جان كوكتو ، ولم يكده يحفل بغيرها
أندرية جيد ؛ فأندرية جيد متتبع لسوفوكل في مجرى
قصته لا يخرج عن الخططة التي رسمها الشاعر القديم منذ
خمس وعشرين قرنا . ولكن أوديب الذي ينشئه
أندرية جيد رجل قد تم نضجه الفلسفي بأرقى معاني هذه
الكلمة في القرن العشرين . يظهر في أول القصة مستجمعا

شخصيته كلها ، مستكملاً قوته كلها ، متحدياً للناس متحدياً
للآلهة ، لا يؤمن إلا بنفسه ، يعلن إلى النظارة أنه رجل
سعيد ، قد عمر أربعين سنة وملك عشرين عاماً ،
واكتسب سعادته اكتساباً لم يرثها عن أحد . ويوشك
هذا الاعتداد بالنفس أن يدفعه إلى الغرور ، وهو من
أجل ذلك يخادع نفسه ويزعم لها غير مخلص أن الآلهة
قد أعانوه ، لا يريد بهذا الخداع إلا أن يتجنب الغرور
الذي كثيراً ما ورط الناس في الشقاء .

فالفكرة الأساسية في قصة أنذريه جيد هي اعتداد
الإنسان بنفسه وثقته بحريته واعتماده على قدرته التي
تمكنه من اقتحام المصاعب وتذليل العقاب . وهذا
الاعتداد بالنفس يسوء الناس جميعاً ؛ فالجوقة التي تمثل
الشعب ضيقة بهذا الغرور مشفقة منه على مصير المدينة ،
ويدفعها إلى الإشفاق والخوف هذا الوباء الذي يصب على

المدينة بلاء عظيماً . وقد أخذ الشعب الذي كان مفتوناً بالملك تطهير به ويهم في أن يكيد له بعض الكيد ليصرف إليه وحده غضب الآلهة من دون المدينة . والكاهن ساخط على الملك لأنه لا يخاص دينه للإله بل لا يؤمن بالإله . وأبناء أوديب قد اختلفت أهواؤهم : فأما الشبان فقد تأثروا بأبيهما ، فهما لا يؤمنان بشيء ولا يرجوان شيء وقاراً ، ولا يكرهان أن يصبوا إلى أختيهما وأن يتحدثا إليهما كما يتحدثان فيما بينهما بهذه الصبوة الآثمة . أما أنتيجون وچوكاست فتأثرتان بالكاهن إلى أبعد حد ، حتى إن الفتاة لتوشك أن تهب نفسها للإله . وأما كريون فناعم بالحياة في هذا القصر لا يحب أحداً ولا يكره أحداً ، وإنما يحب نفسه ويحب الحياة ويستمتع بما يتاح له من لذاتها ، ويحافظ على التقاليد ما وسعته المحافظة . وعقدة القصة كلها هي

الاختلاف بين أوديب الذى يعتد بنفسه حتى يبلغ الغرور وحتى يجحد الآلهة ، والكاهن الذى يريد أن ييسط سلطان الدين وأن يسيطر من طريق هذا السلطان على كل شئ وعلى كل إنسان وعلى نفس الملك خاصة . وليس الوباء الذى ألمَّ بالمدينة وليس البحث عن مصدر هذا الوباء وليست استشارة الآلهة لتعرف هذا المصدر وليس استكشاف المجرم الذى قتل أباه وتزوج أمه — ليس هذا كله إلا مظاهر لهذا الصراع بين حرية الإنسان واعتداده بنفسه حتى يبلغ الغرور ، وبين سلطان الآلهة وتفوقه على غرور الإنسان .

فاذا تبيننت الحقيقة وعرف أوديب أن سعادته لم تكن إلا غروراً ، وأن انتصاره على أبى الهول لم يكن إلا سراباً ، وأن ملكه الذى أسسه ونعم به لم يكن إلا امتحاناً — إذا عرف أوديب هذا كله ورأى امرأته وأمه قد قتلت نفسها

ورأى نفسه قد فقأ عينيه بيديه ، ظن الكاهن تيرسياس
 Tirésias أن الإله قد انتصر على غرور الإنسان ، وأن
 أوديب قد ثاب إلى رشده ، وأذعن لسلطان الدين . ولكن
 أوديب لم يخرج عن كبريائه ، ولم يستسلم للمحنة ، ولم يعترف
 بالهزيمة ، وإنما ثبت للخطب ، بل هو لم يفقأ عينيه إلا تحدياً
 لنفسه وللناس وللألم ، ومحاولة لبناء مجد جديد من طراز
 آخر معنوى غير هذا المجد الزائل الذى كسبه حين قهر
 أبا الهول وأسس الملك . وهو حين ينفى نفسه من الأرض
 لا يفارق المدينة منهزماً ولا مخذولاً ، وإنما يفارقها يائساً .
 لم يقهر اليأس نفسه ، وإنما رفعها فوق الناس وفوق
 أعراض الحياة . وهو ينصرف ساخراً من الشعب الذى
 أحبه ثم كرهه ثم أخذ يتملقه حين عرف أن بركة الآلهة
 متصلة بشخصه ، وينصرف ساخراً من كريون المحافظ
 الذى يرى الملك كل شئ ، وينصرف ساخراً من ابنه

الذين لا يفكران في الحياة إلا على أنها وسيلة إلى المتاع ،
وينصرف ساخرًا من الكاهن الذي يعظه ويريد أن يحمله
على الندم ؛ فهو لا يرى أنه قد فعل شيئًا يمكن أن
يندم عليه .

هذه هي القصة التي وضعها أندريه جيد ، وهي كما ترى
قريبة جدًا من القصة اليونانية في موضوعها وفي غايتها ،
بعيدة جدًا من القصة في صورتها من ناحية وإن
احتفظت بالجودة وفي إتقانها للتفكير وتجنبها للتكلف
الشعري الغنائى الذي قد يروق ويعجب ، ولكنه لا يغنى
عن التفكير العقلى شيئًا .

ولست أدري أخطئ أنا أم مصيب ، ولكنى أعتقد
أن هاتين القصتين : قصة سوفوكل وقصة أندريه جيد
هما وحدهما اللتان تشهدان بأن محنة أوديب خليفة حقًا
بأن تكون موضوعًا للتفكير الذى يغذو العقل ، والفن

الذى يغزو القلب ، وبأن تكون من اجل ذلك صالحة
لتفكير الفلاسفة وابتكار الأدباء على مر العصور
واختلاف الأجيال .

وقد يكون مما تمتاز به قصة أندريه جيد من القصص
الأخرى التى حاولت تجديد القصة اليونانية أنها لم تقف
عند قصة أوديب ملكا ولكنها ألمت من قريب جدًا
بالقصة الثانية التى وضعها سوفوكل وهى قصة أوديب
فى كولونا .

وكان إلمامها بهذه القصة رائعاً حقاً ، لا أكاد أعرف
شيئاً يشبهه فى جمال الإيجاز ودقته وكفايته بحيث
يستطيع قارئ هذه القصة أن يستوعب أمر أوديب كله
فى غير مشقة ولا جهد .

فقصة أوديب ملكا تنتهى حين تموت جوكاست ويعاقب
أوديب نفسه ويدلن أنه سيهاجر من وطنه . وقد رضى

كريون عن هذه الهجرة ، وابتهج بها الشعب ، وسكت عنها ابنا أوديب الطامعان في الملك اللذان اتقيا قبل أن يمتحن أبوهما على أن يكون الملك دولةً بينهما ، وأزمنت أنتيجون أن تصحب أباهما في منفاه ، وقررت إسمين أن تلحق بهما بعد قليل . ولكن الكاهن يعلن فجأة أن الآلهة قد أوحوا إليه انهم يصلون البركة بشخص أوديب ويكتبونها للأرض التي يدفن فيها بعد موته ، وإذا كل شيء يتغير إلا رأى أوديب ، فكريون يطلب إليه البقاء ملحقاً في طلبه ، والشعب يطلب إليه البقاء متملقاً مترضياً ، ولكن أوديب يسخر من إلحاح كريون وتملق الشعب وتوسل الكاهن ، ويمضى إلى منفاه ساخراً من هؤلاء جميعاً .

وفي هذا الحوار القصير اليسير يوجز أندرية جيد خير ما في القصة اليونانية الثانية بحيث يخرج القارئ من قصة

أندريه جيد وقد عرف من أمر أوديب كل شيء : عرف
بدء القصة وخاتمها ، وعرف مكر الآلهة وغرور أوديب ،
وعرف المحنة والمقاومة ، ثم عرف عفو الآلهة وانتصار
الإنسان .

٤

والظاهر أن أندريه جيد قد فكر في قصة أوديب
قبل أن يحاول إنشاءها بوقت طويل ؛ فهو معنى بأساطير
اليونان يطيل التفكير فيها والحديث عنها ، ويلفتة إليها
بنوع خاص أنها مهما تكثرت فيها الأعاجيب وخوارق
العادات ومخالفة المؤلف من قوانين الطبيعة تنتهي دائماً إلى
شيء من المنطق يردّها إلى العقل ، وإلى ما يحمل العقل على
التروية والتفكير فيما يفسر حياة الإنسان أو يتصل
بمصيره أو بموقفه من القضاء .

نراه يكتب في ذلك بعيد انتهاء الحرب العالمية الأولى

سنة ١٩١٩ .

ثم نراه ينشئ قصة أوديب نحو سنة ١٩٣٠ ، فإذا كانت الحرب العالمية الثانية وهاجر إلى إفريقيا الشمالية نراه ينشئ قصته الثانية التي تترجمها مع قصة «أوديب» وهي قصة «ثيسوس» . وهو ينبئنا في إهداء هذه القصة بأنه كان يفكر في كتابتها منذ زمن طويل . والواقع أنه يتحدث عن ثيسوس وأسطورته في مقاله الذي أشرت إليه آنفاً والذي كتب سنة ١٩١٩ ، فهو إذن يفكر في هذه القصة الثانية قبل أن يكتبها بأكثر من عشرين سنة . والتفكير في هذا البطل الاثيني لا يستقيم عند أندريه جيد كما أنه لا يستقيم عند سوفوكل دون التفكير في أوديب . وحسبك أن تذكر أن أمر أوديب قد انتهى في القصة الثانية

من قصتي سوفوكل بالتجاء البطل الممتحن إلى أتيكا
 والتماسه الأمن والجوار عند الملك الاثيني ؛ فقد كان
 الشاعر اليوناني إذن يقرن أحد البطلين إلى صاحبه .
 وكذلك صنع أندريه جيد ، فستري في آخر قصة ثيسيوس
 حديثاً بين البطلين حين التقيا يدور كله حول مصيرهما .
 والواقع أن هذين المصيرين يختلفان أشد الاختلاف ،
 ولكن كلا منهما يدعو على ذلك إلى التفكير في الآخر .
 فقد أتيح الفوز للبطل الاثيني منذ نشأته الأولى ،
 وأتيح له على نحو متصل حتى كانت حياته كلها فوزاً لم
 يعرف فيها الشقاء إلا قليلاً ، على حين بدأت حياة أوديب
 شقية مملوءة بالحن ، ولم يكن ما أتيح له من السعادة
 إلا غروراً .

على أن آخره الرجلين تختلف أشد الاختلاف : فوما
 أعظمهما حظاً من الشقاء وهو أوديب ، فقد مات راضياً

عن نفسه وعن الآلهة ، مطمئناً إلى هذه السكينة التي
أنزلت على قلبه . وأما أعظمهما حظاً من السعادة وهو
ثيسوس فقد أنفق آخر أيامه منفيًا طريداً ، نفته الثورة
عن وطنه ، ولم يجد عند الملك الذي استجار به مثل ما
وجد عنده أوديب من الثقة والأمن ، وإنما وجد عنده
المكر والغدر والموت . فلاغربة إذن في أن يفكر أندريه
جيد كما فكر سوفوكل في الرجلين معاً . ولا غربة إذن
في أن نجتمع ترجمة القصتين في سفر واحد ، وإن لم يفعل
ذلك أندريه جيد ؛ لأنه قد أنفق أكثر من عشر سنين
بين إنشائه لهاتين القصتين .

على أني حين تحدثت إليه في الجمع بينهما في سفر واحد
رضى عن ذلك كل الرضا . وقد عرفت منه في باريس أنه
أشار على مترجه الأمريكى بأن يصنع نفس هذا الصنيع ؛
لأن القصتين تصدران عن تفكير واحد وعن موقف

واحد أمام مشكلات الحياة . ومع ذلك فبين القصتين اختلاف عظيم في الصورة الفنية : إحداهما تمثيلية كتبت للمسرح ، على حين أن الثانية نوع من المذكرات يقص فيها البطل الأثيني علينا حياته التي ملأها المغامرة في ألوان من الدعابة الحلوة أحياناً والجهد المر أحياناً أخرى .

ولا يشك قارئ القصتين في أن أولاهما قد كتبت حين كان أندريه جيد قوياً سعيداً موفوراً مستكلاً شخصيته كأحسن ما يستكمل الكاتب شخصيته . كان في الستين من عمره ، أو لم يكن قد جاوز الستين إلا قليلاً ، كان سعيداً بين أهله وأصدقائه ، راضياً عن نفسه وراضياً حتى عن مكر الناس به وكيدهم له وانتقاض بعضهم عليه . أما القصة الثانية فقد كتبها بعد أن جاوز السبعين ، بعد أن فقد زوجه وكثيراً من أصدقائه ، وبعد أن خضع لألوان من

الآزمات النفسية ، وبعد أن ذاق وطنه الهزيمة ، وذاتها هو أشد ما يكون ذوقها مرارة ، وكتبها منفيًا عن وطنه لا يعرف متى يعود إليه ، بل لا يعرف أيتاح له أن يعود إليه . فهو مجاهد معاند متحد للأحداث والخطوب حين يكتب قصة « أوديب » ، وهو هادئ مطمئن حزين باسم مع ذلك للأحداث والخطوب ساخر منها ، مؤمن بنفسه واثق بوطنه ذائق حلاوة الصداقة حين يكتب قصة « ثيسوس » .

ولذلك نرى أوديب يفرض نفسه على الأيام ويتحدى الآلهة ويعاند القضاء ، ويخرج من المحنة ظافراً يريد أن ينسى الماضي وألا يفكر إلا في المستقبل ، ونرى ثيسوس قانعاً راضياً مطمئناً لا يفكر إلا في الماضي يستحضر منه اليسير والخطير ، ويجسد اللذة في استحضار ما يستحضر يتحدث به إلينا أو إلى نفسه ، مستمتعاً بهذا الحديث قبل

أن نستمتع به نحن ، لا يفكر في المستقبل ولا يريد أن يفكر فيه ؛ فهو لا ينتظر مستقبلا لأن حياته قد أشرفت على غايتها . وأنت تجد هذا الحزن المظلم في الأسطر الأولى من القصة حين ينبئك بأنه كان يريد أن يقص حياته ليجد فيها ابنه موعظة وعبرة وتعلما ، ولكن ابنه قد مات ، وهو يقص حياته مع ذلك ؛ لمن يقصها ؟ لنفسه أولاً ، ولأن شاء أن يقرأها من الناس بعد ذلك . فهو قد تقدمت به السن ، وسبقه أكثر أصدقائه وأحبائه إلى الموت ، فأصبح عسير نفسه ، لا يستطيع إن أراد أن يسرّي عنها إلا أن يقص عليها ما كان له في صباه وشبابه وكهولته من الأحداث ، وما مر به من الخطوب وما تعرّض له من المغامرات ، يحيا في وقت قصير حياته الطويلة ، ويجدد بالذكري ما اختاف على نفسه من لذة وألم ، ومن أمن وخوف ، ومن أمل ويأس .

وهو ينتهى آخر الامر بالموازنة بين حياته وحياة
صديقه أوديب ، فيرى بعد التفكير الطويل أنه كان أسعد
من صديقه حياة وأحسن حظاً ؛ لأن أوديب قد انتهى
إلى الزهد فى الحياة والنفور منها والفرع إلى هذا العالم
الداخلى يجد فيه الأمن والرضا على حين لقى هو الحياة كما
عرضت على الأحياء ، ولعب بالأوراق التى أتاح القضاء
للناس أن يلعبوا بها . يئس أوديب من الناس واستيقن
آخر الأمر أنه لن يجد عندهم خيراً ولن يقدم إليهم خيراً ،
ووثق هو بالناس واستيقن آخر الامر أن الحياة النافعة
القيمة هى التى لاتنتهى إلى الجذب ، وإنما تنتهى وقد تركت
من وراءها آثاراً يدوم انتفاع الناس بها وذكرهم لها
وثناؤهم على صاحبها .

وقد امتازت هذه القصة بما سترى فيها من هذه
الدعابة الحلوة والسخرية الهادئة ؛ فالبطل الأثينى يعرف

الناس كما ينبغي أن يعرفوا : يعرف قوتهم ويعرف ضعفهم ،
 ويعرف أن هذه القوة كثيراً ما تقوم على الضعف نفسه .
 قيل له إنه ابن الملك وتحدث الناس بأنه ابن إله البحر ،
 فهو يعتز بهذين النسبين : يعتز بنسبه إلى أبيه لملك أثينا ،
 ويعتز بنسبه إلى الآلهة لملك قلوب الناس ويسحر عقولهم .
 وهو فيما بينه وبين نفسه يكاد يقطع بأنه ليس ابن هذا
 ولا ذاك ، وبأن أباه غير معروف ، فقد يحدثنا
 بلوتارك بأن كثيراً من هؤلاء الأبطال كانوا يولدون
 لغير أب معروف فينتسبون إلى الآلهة ، ولا ينكر
 الناس من نسبهم شيئاً لحسن بلائهم ولما يحققون من
 عظام الأمور .

ويحدثنا ثيسميوس بأنه قتل رجلاً كان يظن به السوء
 وقطع الطريق ، ثم تبين بعد ذلك أنه كان رجلاً خيراً نفاعاً
 للناس ، فكاد يندم على قتله ، ولكن الشعب حين عرف

أنه هو قاتله ، لم يتردد في أن يقرر أنه كان مجرماً أثمياً .
وكذلك تذعن الشعوب لما وكها وتسبق إلى التماس المماذير
لهم حين يخطئون .

وما أكثر ما نرى في هذه القصة أخلاق أندريه جيد
نفسه ، فأبغض شيء إلى ثيسسيوس أن يقيّد نفسه بما يمنعه
من العمل ومن التقدم إلى أمام ؛ فهو يحب ولكن
بشرط ألا يسكه الحب عند خلية بعينها ، وهو يصادق
ولكن بشرط ألا تقفه الصداقة عن أن يمضى لما يريد ،
وهو من أجل ذلك يتخلص من أريان Ariane بعد
أن نجته من اللابيرانث labyrinthe ويؤثر عليها أختها ،
كما أنه لا يحفل بمشورة صديقه بيريتوس Pirithoüs
ولا يقف عند رأيه ، وإنما يمضى لما أراد غير حافل
بفقدان الصديق الذي أوشك أن يعوقه عما يرى
فيه خيراً .

كل شيء في هذه القصة يصور حرص الملك على أن يحقق نفسه ويعتمد عليها ، ولا يعتمد إلا عليها ، ينفع الناس ولكن لا يعنيه أن يرضى الناس عنه أو يسخطوا ، بل هو لا يكره أن ينفعهم على رغبتهم . وإذا كانت قصة أوديب تصور الشخصية القوية المجاهدة المعاندة التي لا تؤمن بشيء كما تؤمن بالحرية ، ولا تحرص على شيء كما تحرص على الحرية ، ولا تعرف الهزيمة ولا تذعن للخطوب ، فقصة ثيسوس تصور الشخصية القوية التي جاهدت وعادت وانتصرت على الأحداث والخطوب حتى إذا بلغت آخر الشوط نظرت إلى وراء بعد أن لم تكن تنظر إلا إلى أمام ، فرضيت عن نفسها وحمدت بلاءها ، وانتظرت الموت آمنة مطمئنة .

والقصتان تنتهيان إلى غاية واحدة ، ولكنها في الوقت نفسه مختلفة : فقد مات أوديب راضياً ومات

ثيسوس راضياً أيضاً ، ولكن أحدهما وجد الرضا في
العالم الداخلى الفلسفى ، على حين وجد الآخر هذا الرضا
فى العالم الخارجى الإنسانى . وما أعظم الفرق بين رضا
مصدره اليأس من الناس ورضا مصدره الثقة بالناس !

طه حسين

آثرت فى هذا الكتاب إيراد الأسماء اليونانية كما ينطقها
ويرسمها الفرنسيون . ويرى القارئ فى آخر الكتاب تبيناً لما قد
يحتاج إلى تبين من هذه الأسماء .

اودیب

الاجزاء
بظہور

الفصل الأول

« لقد ملئ العالم بالمعجزات ، ولكن
لا أشد إعجازا من الانسان . »
[سوفوكل من حديث الجوقة في قصة أنتيجون]

أوديب

هانذا أحضر وقد استجمعت شخصيتي كاملة في هذه
اللحظة من لحظات الزمان السرمدي ، أشبه شيء بشخص
يظهر على مقدمة المسرح قائلا :

أنا أوديب ، قد عمرت أربعين سنة ، وملكت عشرين
عاما ، وبلغت بقوة ذراعى قمة السعادة . لقد كنت لقيطا
لا يُعرف له أصل ، ولا يحمل ما يثبت شخصيته ، وأنا
الآن أسعد الناس بأنى لست مديناً بشيء لإنسان . لم
توهب لى السعادة ، وإنما أخذتها قسراً . وأنا من أجل
ذلك عرضة للغرور . وقد أردت أن أتجنبه ، فسألت
نفسى ألم يكن فى أمرى أثر للقضاء والقدر ؟ أعمد بهذا
السؤال إلى أن أعصم نفسى من دوار الكبرياء هذا الذى
تزلّ له أقدام كثير من أبعاد القادة صوتا وأعظمهم
امتيازاً . . . ههلم ! هلم ! يا أوديب ! لا تغامر بنفسك
فى كلام طويل توشك ألا تحسن الخروج منه . قل فى يسر
ما تريد أن تقول ، ولا تشع فى ألفاظك هذا الورم الذى
تعرض على أن تتقيمه فى حياتك . كل شيء يسير ، وكل
شيء يأتى فى إبانته . فكن يسيراً وكن صائبا كالسهم .

إمض إلى غايته في غير عوج ولا التواء ... وهذا يردني
إلى ما كنت أقول آنفاً . نعم ! إذا ظننت أحياناً أني صنيعه
الآلهة، ومصدر ذلك رغبتى في التواضع والاعتدال ، وفي
أن أرد إليهم فضل ما كتب لى من تفوق ، فمن العسير ألا
يتعرض مثلى للغرور والكبرياء . وسبيلى إلى القصد أن
أزعم أن فوقى قوة مقدسة أخضع لها راضياً أو كارها .
ومن ذا الذى لا يُذعن مطمئناً لقوة مقدسة ترقى به إلى
حيث بلغت ! إن إلهاً يقودك يا أوديب ، وليس في
الأرض اثنان يشبهانك . بذلك أحدثت نفسى في أيام
الآحاد والأعياد ، فأما في سائر الأيام فإنى لا أجد الوقت
للتفكير فيه . وما أنا وهذا كله ؟ إني لسيء التفكير ،
ليس حسن المنطق من خصائصى ، وإنما أنا أصدر دائماً
عن الحدس . من الناس من يسأل نفسه في كل فرصة ،
وفي كل موطن تزدهم فيه العربات : أيجب أن أتأخر ؟

أمن حق أن أمضى إلى أمام ؟ أما أنا فأمضى في حياتي كأن
إلهًا يرشدني إلى ما أريد .

الجوقة في مقدمة المسرح وقد انقسمت
قسمين ، أحدهما عن يمين والآخر عن شمال

الجوقة [بقسميها]

نحن الجوقة ، التي كُلفت في هذا المكان أن تمثل
رأى أضخم عدد ممكن من الناس ، نعلن دهشنا وحزننا
أمام هذه الشخصية الممثلة في إيمانها بنفسها . فهذا الشعور
الذي يظهره أوديب لا يقبل من غيره إلا إذا ألقى من
دونه حجاب .

وليس من شك في أن من الخير للإنسان أن يترضى
الآلهة . ولكن أقوم السبل إلى ذلك أن ينحاز إلى رجال
الدين . وإن أوديب ليحسن إذا استشار تيرسياس ،

فهو الذى يمسك إرادة الآلهة . إن أوديب ليظهر العناية بنا وهو يوشك أن يغضب الآلهة علينا ، ولعله أن يكون مصدر هذه الآلام التى تبهظنا الآن [فى صوت خافت] سنشترى رضاهم ببعض الضحايا التى لا يرتفع ثمنها وبعض الصلوات التى يحسن توجيهها ، وسنباعد ما بيننا وبين ملكنا فنحوّل إليه وحده العقاب على هذه الكبرياء التى تستوجب العقاب .

جوقة الممين [إلى أوديب]

لا يشك أحد فى أنك سعيد وإن كنت تسرف فى إعلان هذه السعادة ، ولكننا نحن لسنا سعداء . نحن شعبك . أى أوديب نحن شعبك لسنا سعداء . وددنا لو نخفى هذا عليك ، ولكن هذه القصة لن تأخذ دُرَيْتها إلا إذا حدّثناك نبأ مروّع . إن الطاعون ، مادام يجب

أن نسميه باسمه ، مازال ماضيا في دفع المدينة إلى الحداد .
وقد عوفيت منه أسرتك إلى الآن ، ولكن من الملائم
ألا يغضى الملك عما يصيب أمته من الرزايا وإن لم يصبه
منها طرف .

جوقة الشمال

على أننا لا نكاد نشك في أن بين سعادتك وشقائنا
صلة خفية ، بذلك تلمح لنا احاديث تيرسياس . ومن الخير
أن نتعرف جليلة الامر فيه . سينبئنا بذلك أبو ثون ،
فأنت قد أرسلت الرجل الكريم كريون صهرك إلى معبد
الاله ، وسيعود إلينا عما قليل بما ننتظر في لهفة من
جواب الوحي .

أوديب

ها هو ذا مقبلا !

بدخل كريون

أوديب [إلى كريون]

وإذن ؟

كريون

أليس من الخير أن نتحدث منفردين ؟

أوديب

لماذا ؟ إنك تعلم أنني أزدرى الرياء والخواطر
المستورة فستقول إذن كل شيء أمام كل الناس . إلى
 ذلك ادعوك ، بل بذلك آمرك . من حق الشعب أن
يعلم كما أعلم أنا كل ما من شأنه أن يدفع عنه الضرر .
على هذا النحو وحده يستطيع أن يعينني على دفع البلاء .
 ماذا قل الوحي ؟

أوديب - ثيسبوس

كريون

بالضبط هو ما كنت أخاف ، وهو أن في المملكة
شيئاً قد شمله الفساد .

أوديب

قف . ليس محضر الشعب كافياً . يجب أن تُدعى إلى
هذا المكان أختك چوكاست وأبناؤنا الأربعة .

كريون

إسمع لي ، إني أحمد لك دعاء چوكاست ؛ فأنت تعلم
أن شعور الأسيرة شديد السلطان على نفسي ، وهي مع ذلك
تستطيع أن تشير علينا فتحسن المشورة . أما الفتية فيخيل
إليّ أنهم أصغر سنّاً من أن يشاركوا في هذا الحديث .

أوديب

ليست أنتيجون طفلة . أما إتيوكل وپولينيس فهما كما
كنت في سنهما ، ليسا غبيين وفيهما جراءة وإقدام ، فمن
الخير أن ندعوها وأن نشغلها ببعض الهنم ، أما إسمين فلن
نفهم شيئاً .

تدخل چوكاست وأبناء أوديب الأربعة

أوديب [إلى چوكاست]

إن أخاك قادم من پيتو^(١) . وقد أردت أن تكونوا
جميعاً حولي ؛ لنسمع جواب الآله . هلم يا كريون ،
تحدث الآن : ماذا قال الوحي ؟

كريون

قال إن الآله لن يحول غضبه عن ثيبا حتى يثار للأيوس .

أوديب

يشأر له من ماذا ؟

كريون

ألا تعلم أن الذي تخلفه في سرير أختي چوكاست وعلى
العرش قد مات مقتولا ؟

أوديب

أعلم ذلك ، ولكن ألم يعاقب الجرم ؟

كريون

لم تستطع الشرطة أن تأخذه . بل يجب أن نعرف
بأن البحث عنه لم يتصل .

أوديب [إلى چوكاست]

لم تنبئني

چوكاست

لقد كنت تقاطعني يا صديقي كلما حاولت أن أتحدث
إليك . وكنت تصيح : كلاً لا تحدثني عما مضى ، فلست
أريد أن أعلم من أمره شيئاً . لقد بدأنا عصرأ ذهبيا . كل
شيء يتجدد . . .

كريون

وكانت كلمة العدل إذا نطق بها فمك تؤدي معنى العقو .

أوديب

لو كنت أعرف الخنزير الذي . . .

چوكاست

هوّن عليك يا صديقي ! هذا تاريخ قديم . لا تُعُدْ إلى
ما مضى .

أوديب

كلّا لن أهوّن على نفسي ، بل أنا أريد أن أعلم من
ذلك . أقسم بالجحيم لن أنتهي حتى أظفر بالمجرم . سألتسه
حيثما يكون وأقسم إنه لن يفوتني . كم مضى على ذلك
من وقت ؟

چوكاست

كنت أيمّا منذ ستة أشهر حين خلفت لايوس ، وقد
مضى على ذلك عشرون عاما .

أوديب

عشرون عاماً في حياة سميدة ...

تيرسياس

... وهي أمام الإله كيوم واحد.

وقد دخل تيرسياس مع أنتيجون وإسمين دون
أن يلحظ . وهو ضريّر قد اتخذ لباس الكهنة

أوديب

يا للآلهة ! إن هذا الرجل لثقيل ! يقحم نفسه دائماً
في أمور الناس . من طلب إليك الحضور ؟

چوكاست [إلى أوديب]

يا صديقي لا ينبغي أن تتحدث على هذا النحو أمام

الصغار . فمن الخطأ أن ننقص من سلطان الرجل الذى
 اتخذناه لهم مربياً وأستاذاً والذى يجب أن يرافقهم دائماً .
 [ملتفتة إلى تيرسياس] . كنت تقول . . .

تيرسياس

لا أريد أن أسوء الملك .

أوديب

لا يسوءنى ما يقال ، بمقدار ما يسوءنى ما تضرره
 النفوس ولا تقوله الألسنة . تكلم .

تيرسياس

سنتحدث منفردين يا أوديب عن سعادتك . . . عما
 تسميه السعادة . أما الآن فالأمر يعنى شقاء الشعب . أى

أوديب إن الشعب يألم ولا يمكن للملك أن يجهل هذا الألم .
 إن الإله ينشئ صلة خفية بين السعادة التي تتاح لقليل من
 الناس والشقاء الذي يُفرض على أكثرهم . إن اسم الإله
 يتردد كثيراً على لسانك يا أوديب . وما ينبغي أن ألومك
 في ذلك ، وإنما ألومك في أنك تتخذ من الإله مُقَرِّراً
 لعملك لا قاضياً لك ، وفي أنك لا تضطرب أمامه خوفاً .

أوديب

لم أكن قط ما يسميه الناس هيباباً .

ثيرسياس

كلما عظمت شجاعة الإنسان أمام الناس أشدّ رضا
 الإله حين يراه خائفاً أمامه مضطرباً من الخوف .

أوديب

لو أنى اضطربت أمام أبى الهول لما استطعت أن
أجيبه ولا أن أصير ملكا .

الجوقتان

أى أوديب ، أى أوديب ! عبثا تحاول . إنك لتعلم أن
أحدا لا يستطيع أن يستأثر بالكلمة الأخيرة دون
تيرسياس ، وإن كان ملكا .

الجوقة الأولى

لقد قهرت أبا الهول ، ولكن تذكر أنك أبيت فيما
بعد ذلك أن تحفل بزجر الطير .

الجوقة الثانية

ولما كانت هذه تؤرِّق نومك ، فقد دفعتنا إلى الإثم
حين أذنت لنا في صيدها على الرغم من تحريم تيرسياس
لهذا الصيد .

الجوقتان

لقد كنا نتخذ من الطير طعاماً شهياً ، ولكننا لم
نلبث أن تبيننا الخطيئة حين رأينا الإله الساخط يسلط
الدود على زراعتنا .

الجوقة الأولى

وإذا كنا قد أخذنا أنفسنا بالصوم في ذلك العام ،
فإنما أردنا التكفير عن خطيئتنا .

الجوقة الثانية

ولانتنا لم نكن نجد ما نأكل .

الجوقتان

ولذلك فنحن على إثارتنا طاعتك ننصح لك بالإصغاء
إلى ما يقوله تيريسياس .

أوديب [إلى ابنيه]

إن الشعب يؤثر دائماً تفسير ما يعرض له من الأحداث
بالأسرار الغامضة على تفسيرها بأسبابها الطبيعية ، ليس
إلى تغيير هذا من سبيل [إلى تيريسياس] هَلُمَّ ! امض
في حديثك .

تيريسياس

تستطيع شرطة الملك أن تبحث عن مجرم ، ولكن
إلى أن تجده أرجو أن تأخذوا جميعاً أنفسكم بالندم ،
فكلكم خاطيء أمام الإله ولن نستطيع أن نتصور إنساناً
قد برى من الخطايا . فليعكف كل منكم على نفسه ،
وليحاسب ضميره ، وليندم على ما قدمت يداه . وفي
أثناء ذلك سنقدم من الضحايا ما يهدى من غضب الإله
الذى يمتحن المدينة بهذا البلاء . لقد جلّ عدد الموتى
عن الإحصاء ، ويستطيع پولينيس الذى كان يسايرنى آنفاً
والذى رأى ما لم أكن أرى أن ينبئك بذلك .

پولينيس

أجل يا أبت ! لقد رأينا غير بعيد من القصر جماعة من

المطعمون قد دنسهم البراز والقيء وهم يتناولون من الألم
ويعين بعضهم بعضا على الموت ، وكان الجو من حولهم
يضطرب بما يبعثون من حشجة وأنين ، ومن زفرات
ونظرات . . .

كريون

حسبك ! حسبك ! . . .

إسمين يأخذها الانماء

أوديب

هذه الصربية يغشى عليها الآن .

إتيوكل [إلى بولينيس]

ما كان لك أن تقص هذا كله أمام أختك .

أوديب [إلى چوكاست]

أرجو أن تخرجني هؤلاء الصبية .

يخرجون ومهم تيرسياس

لينصرف الشعب فإنني أريد أن أخلو للتفكير .

يبقى اوديب ومعه كريون

كريون

متناقض كغيرك من الذين يرسلون أنفسهم على
سجايها . ما نفع هذا القسم الذي أقسمته أنا ؟

أوديب

أي قسم ؟

کريون

أترى؟ لقد أنسيته! ولكن الشعب، ولكن أبناءك
لن ينسوه، وما زال تيرسياس قادراً على أن يذكرّك به.
لقد أقسمت لتتأرن للملك.

أوديب

هذا حق. لماذا لم يحاكم المجرم؟

کريون

لقد طويت القضية.

اوديب

من الذى طواها؟

كريون

أنا الذى طواها أولاً حين كنت وصياً على العرش .
فقد رأيت من الخطأ أن ألفت إليها الشعب وأن ألقى فى
روعه أن الملك يمكن أن يقتل كغيره من الناس .

أوديب

نعم ! ولكنه يعلم ذلك الآن .

كريون

ولم ترد چوكاست أن يجرى التحقيق لأنها رأت فى
كثير من الحكمة أن أول عهدك بالملك لا ينبغى أن
يشيع فيه الظلام .

أوديب

لقد حرصت چوكاست دائماً على أن تحوط سعادتي .
 إنها كاملة ، چوكاست . أيّ زوج هي ! أيّ أمّ هي !
أما أنا فلم أعرف أمي قط وإني لأحب چوكاست حب
البنوة والزوجية معاً . قل لي . أكانت تحب زوجها
الأول ؟

كريون

أقل مما تحبك من غير شك .

أوديب

قل لي أيضاً . . . ألم يولد لها الولد ؟

كريون

هذه قصة أخرى . لست أدري أمن حتى أن
أقصها عليك

أوديپ

لم يكن من حقا أن تشير إليها فأما وقد فعلت ، أما
الآن فأريد أن أعلم .

كريون

إذن فهالك القصة : لم يكونا يريدان الولد ، لأن
الوحي . . .

أوديپ

الوحي أيضاً . . . ؟

كريون

... تنبأ بأن لا يوس سيموت مقتولا بيد ابنه .
ولكن في ليلة من ليالى الحب الذى لاحذر فيه ...

أوديب

لقد فهمت عنك . وماذا كان من أمر هذا الطفل
الذى أنتجته الهيام ؟

كريون

كان غلاما لم يكد يولد حتى دُفع إلى راع كُلف
هذه المهمة الحزينة ، مهمة إلقائه على الجبل حيث التهمته
الوحوش الضارية .

أوديب

ألا يزال هذا الراعى حيا ؟

كريون

إنك لتسرف على فى السؤال . أتريد نصيحتى ؟ لا تشق
نفسك بهذا . وعش سعيداً .

أوديب

مع هذه الشوكة فى وسادتي أخشى ألا يتاح لى النوم
منذ الآن . على أنك قد سمعت أن الإله يطلب عقاب القاتل .

كريون

أيها العزيز أوديب إن الوحي الذى يسيغه الشعب

لا ينبغي أن يخيفنا نحن الحا كمين . ينبغي أن نتخذ منه
وسيلة لتقوية السلطان ، وأن نؤوله كما نشئ . لقد أنبأنا
بأن لايوس سيموت مقتولا بيد ابنه ، فقد هلك هذا
الابن ولم يمنع ذلك من قتل لايوس . ولو قد عاش لما
أُتيح لك أن ترقى إلى عرشه . فلا تشق نفسك بموته ولا
تكلّفها العناء لتعلم كيف مات . إن كان بعض الناس قد
قتله فإنما فعل ذلك من أجلك . لقد هيا لك الفرصة ، فما
ينبغي لك أن تعاقبه ، وإنما يجب عليك أن تحسن إليه .

أوديب

ولكن ما عسى أن يقول تيرسياس .

كريون

أتخافه ؟

أوديب

لا أكاد أخافه ، ولكن الشعب يسمع له ، وربما أثار
صوته في نفسى بعض الاضطراب . نعم ! جرس صوته
كأنه يخرج من الجحيم . ها هو ذا مقبلا من جديد . إنه
ليسمى دون أن يسمع خطوه . ماذا تريد ياتيرسياس ؟

دخل تيرسياس

تيرسياس

أى أوديب إن الملكة تزيد أن تتحدث إليك . إنها
تنتظرك في القصر .

أوديب يتبع . تيرسياس إلى كرون

إنما أردت أن أخلو إليك ، لقد سمعت كل ما قلتما .

کریون

أكنت تسمع؟

تیرسیاس

لست في حاجة إلى أن أسمع لأسمع . إني أعرف
ما يجول في النفس قبل أن أسمع صوت المتكلم . أي
 کریون ليس من الخیر أن تطمئن أودیپ .

کریون

ماذا تريد أن تقول؟

تیرسیاس

أريد أن أقول إنه يسرف في الاطمئنان ، وإن نفسه

كالإبناء المطبق لا سبيل إلى أن يبلغها الخوف . وإن
سلطاني كله إنما يأتي من خوف الإله . إن هذه السعادة
المطمئنة آثمة . إن عليك أن تحدث فيها صدعا .

كريون

لماذا ؟

تيرسياس

من هذا الصدع يصل الإله إلى قلبه . إن پولينيس
وإتيوكل يفلتان مني . إن شعوري بذلك يزداد من يوم
إلى يوم . ستنبتك بذلك چوكاست . إنهما يتأثران أباهما
ويريان أن من الممكن أن يتحررا من هذا السلطان الذي
ينبغي أن يدعن له كل إنسان . إني لا أتحدث إليك عن
نفسى ، وإنما أتحدث إليك عن الإله الذي أمثله وعن

چوكاست ، وعن أنتيجون هذه الفتاة التقية ، وعن
 الشعب آخر الأمر . عن هذا الشعب المروع الذى يرى
أن ما يلّم به من الكوارث إنما هو عقاب له على ما يظهر
ملكه من الإلحاد . ثم كيف تستطيع أنتيجون أن تكبر
 اباً ، وكيف تستطيع چوكاست أن تحب زوجاً يتحول قلبه
 عن الإله الذى توثرانه جميعاً بالإجلال ! وأنت نفسك
 يا كريون يجب أن تفهم أن مما ينفع الناس جميعاً أن يدعن
الملك لسلطان قوة قاهرة يستطيعون أن يفزعوا إليها
حتى منه هو .

تدخل چوكاست

چوكاست

إن أوديب شديد الحزن لما قصصت عليه من نبأ . إن
أنتيجون تريد أن تخلص للدين .

كريون

تريد أن تكون كاهنة ؟

تيرسياس

ليس في ذلك ما يدهش . إن هذه الفتاة العزيزة تريد
أن تقوم بذلك ما في فجور أبيها من عوج .

چوكاست

لقد أفضت إلىّ بهذه النية التي يجب أن تظل سرّاً ،
والتي لم يظهر عليها أخواها بعد .

كريون

آه ! يا للفتاة البائسة !

تيرسياس

بأئسة لماذا؟ ستجد عند الإله سعادة أوثق من سعادة
أوديب : نعيماً مقدساً قوامه الخضوع لا الكبرياء .

كريون

أقدر كذلك أن شقاء الشعب قد أثر في نفسها .

چوكاست

إنها تلح عليّ في أن أدعها تعني بالمرضى ، وقد أُبيت عليها
ذلك ؛ لأنه ليس من شئون الأميرات . هنالك قالت لي :
فلا أصل من أجلهم ولا ضرع إلى الإله في أمرهم ، وربما
ضرعت إليه في أمر . ثم قطع البكاء صوتها فلم تستم .

تيرسياس

في أمر شخص آخر أشد منهم مرضاً .

كريون

أكانت تفكر في أبيها ؟

تيرسياس

من غير شك . كيف تلقى اوديب هذا النبأ ؟

چوكاست

مغضباً محزوناً اول الأمر ، ثم صائحاً لأنه يعرف في
هذا صنع تيرسياس .

تیرسیاس

لست إلا أداة الإله، وما دام الإله يتخذني أداة
لا أنفذ أمره فلن يقف عملي عند هذا الحد.

چوکاست

ما أعظم حظ هذا الزوج الحبيب إلى من الثبات
والفضيلة والشجاعة ! إن الواجب يفرض علينا يا تیرسیاس
أن نرده إلى طاعة الإله.

تیرسیاس

يجب على كریون أن يعينني . يجب عليه أن يزعم ثقة
الملك بنفسه فيعدّه بذلك لحسن الاستماع لي .

كريون

سأحاول ، ولكنى لست واثقاً بالنجح فإن أوديب
لا يلقي السمع إلى من يثقل عليه .

تيرسياس

سيهديك الإله كما يهديني إلى الوسيلة التى تمس
بها قلبه .

كريون

لم يُغنِ الإله كثيراً بهدايتى قط .

تيرسياس

إنه لا يحسن العناية إلا بهداية العميان .

چوکاست

إني أعتد عليك يا نيرسياس ، فمن طريقك يأتينا العلم
بإرادة الإله التقدير .

الفصل الثاني

« أى أوديب أيها الذى ولد فى غير
اعتباط وكان السكر له اباً . »
[أوريبيد : الفينيقيات .]

يتقدم أوديب وكريون وهما
يمضيان فى حديث كانا قد بدأه

كريون

... لو لم نكن متباينين إلى هذا الحد لما وجد أحد
منا هذه المتعة حين يفهم عن صاحبه : وإنى أيها الصهر
العزیز لأحب حديثك ؛ لأنك تفتح لى آفاقاً لم أكن

أوديب - تيسوس

لا أهتمدى إليها وحدى . فلك الابتكار والتجديد . أما أنا
 فيقيدنى الماضى ، وأنا من أجل ذلك أحترم التقاليد
 والعادات والقوانين المقررة . ولكن ألا ترى أن من
 الخير للدولة أن يمثل هذا كله ، وأنى أحقق التوازن
 المفيد بإزاء عقلك المجدد ، فأحول بينك وبين الاندفاع
 وأهدى من مغامراتك الجريئة التى توشك أن تحطم
 نظام الجماعة إذا لم تؤخذ بشىء من القصد يأتىها من هذا
 السكون ومن هذا التشبث بالقديم . . .

أوديب [فى شىء من الذهول]

هذا ممكن .

كريون

إن شعور الأسيرة شديد السلطان على نفسى ، وأنت

من هذه الأسرة ، وأمر أبنائك يعنينى كأمر أبنائى
فأذن لى فى أن أجد شيئاً من القلق على صحة إسمين ، فهى
عصبية ، وقد لاحظت ما أصابها أمس من الإغماء حين
سمعت حديث أخيها . . .

أوديب

إن هذا الإغماء لم يطل .

كريون

ومع ذلك فيجب أن نُعنى بها فنحملها على شىء من
الرياضة . . . وكذلك چوكاست يخيّل إلى أنها لا تستمتع
بالصحة الكاملة منذ أيام ؛ فهى قلقة لما يصيب الشعب من
شقاء ، فمن الحق عليك أن تحاول تسليتها .

اُديب

حَسَنٌ ، حَسَنٌ !

کريون

وسأحدثك عن ابنك حين يتاح لنا شيء من فراغ .
فتيرسياس أستاذ كيّس ، ولكنهما لا يظهران حسن
الاستماع له . قد ورثا عنك شيئاً من العناد لا أحققه ،
فهما ثأران . هل قرأ عليك إتيوكل خواطره التي صور
فيها بلاء العصر ؟

اُديب

صور فيها الطاعون ؟

كريون

كلا بلاء العصر مع عنوان آخر هو قلقنا .
وهو بالطبع يقصد إلى قلق عقليٍّ ممتاز . إن هذا الفتى
لغريب حقاً . وليس بولينيس أقل منه جمالا وقوة
وذكاء . إنهما يشبهانك من غير شك حين كنت في
سنيهما . ولعلك ترى نفسك فيهما .

أوديب

أحيانا .

كريون

أنتم من طائفة القلقين ، ولكنهما على الأقل يريان
ما ضربت لهما من مثل . أما أنت فقد كنت ترى نفسك

غريباً عند بوليب . . . أليس هذا هو الذى حملك على
مغادرة قصره ؟ ألم تكن تجد الرضا عنده ؟

أوديب

كنت أجد عنده كل ما أحب ، ولكنى أكره أن
أدلل . وكنت أعتقد فى ذلك الوقت أنى ابن بوليب . ثم
أقبل إلى القصر ذات يوم كاهن كان يتحدث إلى الناس
بأمر مستقبلهم ، وكان كل واحد يريد أن يسأله عما يضر
له الغيب . فلما جاءت نوبتى امتقع لونه وأبى أن ينبئنى
بأمرى أمام الناس ، ثم انفرد بى وأنبأنى بأنه قد كتب على
أن أقتل أبى . ضحكت أول الأمر لهذه النبوءة ، ولكنى
رأيت يلىح ويؤكد ، فلم أر بأساً بشيء من الاحتياط ،
وكان أول ذلك أن أصرح بوليب بالامر ، وأن أنبئه
بأنى فراراً من هذه النبوءة السيئة سأفارقه إلى آخر

الدهر مهما يكلفني ذلك من مشقة ، فقد كنت أحبه .
 هنالك أنبأني ليردّ الطمأنينة إلى قلبي بأنني لست ابنه ،
 وإنما تبناي ، فما ينبغي إذن أن أخاف أن تتحقق هذه
 النبوءة فيما يتصل به . ولم يستطع أن يبين لي عن أبي
 شيئاً ، وإنما حدثني بأن راعياً من رُعاته وجدني في
 الجبل وقد علقت كالثمرة من إحدى رجليّ إلى غصن
 دانٍ لبعض الشجيرات (وهذا هو الذي جعلني أعرج
 قليلاً) وجدني عارياً معرضاً للريح والمطر كما يُطرح
 الطفل الذي يُنتجه الحب الآثم ، والذي يراد التخلص
 منه لأنه جاء على غير انتظار ليفسد على المحبين
 أمرهما ...

كريون

طفل لغيفة . لا بد أن يكون ذلك قد آذاك .

أوديب

كلا ! لم يؤذنى . ولعل مما يسرنى أن أعرف أنى لم
اولد لرشدة ؛ فقد كنت أتكلف كثيراً من الجهد لأقلد
بوليب حين كنت أعتقد أنى ابنه . وكنت أقول لنفسى
أى شىء فىّ لم أرثه عن آبائى . وكنت أستمع لدروس
الماضى ، وأنتظر من أمس وحده إقرار ما عملت وإملاء
ما ينبغى أن أعمل . ثم تنقطع الأسباب فجأة ، وإذا أنا
قد نجمت من المجهول ، فليس لى ماضٍ وليس لى نموذج
أحتذيه ، وليس لى شىء أعتمد عليه ، وإنما يجب أن
أبتكر كل شىء : أن أبتكر الوطن ، وأن أبتكر الأجداد
وأن أخترع كل شىء وأستكشف كل شىء . ليس هناك
شخص يمكن أن أشبهه إلا أن أكون أنا هذا الشخص .
وما الذى يعنينى إذن أن أكون من أبناء اليونان أو من

أبناء اللورين ؟ كيف تستطيع يا كريون وانت المثلث
 بقيود الماضي الملائم للتقاليد الموروثة في كل شيء ، أن
 تقدّر ما في هذه الحاجة إلى ابتكار كل شيء من روعة
وجمال . إن جهل الأبوين دعاء إلى مضاء العزم .

كريون

ولكن فيم تركت پوليب بعد أن ردك إلى الاطمئنان ؟
 فقد كنت متبناه ولم يكن له وارث ، فكنت خليفاً أن
 ترقى بعده إلى العرش .

أوديب

لست أكره شيئاً كما أكره الاستئثار بما ليس لي فيه
حق ، ولا أريد أن أنتفع بشيء إلا إذا اكتسبته بالعزم
 اكتساباً ، وكنت أجد في نفسي فضائل كأنها كانت نائمة ،

ولم أكن أطيق لها هذا الحمد . وكنت أشعر أنى بهذه
الحياة التى كنت أحيائها فى قصر پوليب راضياً ناعم البال
إنما كنت أضيع ما كتب لى من حظ .

كريون

من الطبيعى أن أرى غير ما ترى ؛ فلو قد كنت
مجهول النسب لكان من الممكن أن أتكلّف من الخصال
وأطلب من المزايا مثلك ما لم يقدر لى من طريق الوراثة .
ولكنى أنا ابن ملك وأخو ملك لا أستطيع إلا أن أكون
محافظاً . لم أكن ملكاً ولكنى كنت أحب أن أستمع
بنعمة الملك فى قصر لا يوس ، كما أحب أن أنعم فى قصر
بكل مزايا الملك دون أن أحمّل ثقله أو أتكلّف
هجومه .

أوديب

انْعَمْ في سلام ! انْعَمْ في سلام يا كريون . لعل
من الخير أن يكون أمثالي أشخاصاً نادرين . ولكني
أرى الفتية يقبلون ، فلنستمع لهم دون أن يرونا .

يتنحى أوديب وكريون
وتدخل أنتيجون وبولينيس

بولينيس

لا سبيل إلى التفكير الحر إلا إذا أزلنا هذه الأثاء
التي تفرضها العبادة على العقل .

أنتيجون

إن الاستسلام للشهوات تفرض عليه أثاءً أشدّ
نكراً وتعطفه إلى الشر . نعم ! لقد اتخذ عقلي هذا الثني

الذى يضطره إلى ألا يفكر إلا تفكيراً مستقيماً . ومن
المحقق أن كل اتجاه لشخصي إنما يدفعني إلى ...

بولينيس

أتمنى .

أنتيجون

... يدفعني إلى الإله !

بولينيس

لماذا لم تتمنى حديثك أول الأمر ؟

أنتيجون

لأنى أعلم أنك لا تؤمن بالإله .

بولينيس

الإله إنما هو في حقيقة الأمر شيء تضعينه عند آخر
تسكيرك . أتؤمنين به حقاً ؟

أنتيجون

بكل قلبي وبكل عقلي . ولولا أني أتحدث إليك لقلت
بكل نفسي ، ولكنك لا تؤمن بالنفس أيضاً .

بولينيس

لعلك تفتبين إلى أن تحمليني على الإيمان بنفسك ...
ولكن هذا الإله الذي تذكرينه أوجد خارج عقلك ؟

أنتيجون

نعم ! ما دام يجذبني إليه .

بولينيس

إنما هو انعكاس بسيط لما في نفسك من الفضائل !

أنتيجون

بل أنا التي أعكس بعض ما فيه من خير ، فكل فضيلة
إنما تصدر عنه هو .

بولينيس

أى إنتيجون : اسمى لى . . . ولا يأخذك الحجل
من سؤالى .

أنتيجون

إني أخجل مقدما ، ولكن سل مع ذلك .

بولينيس

أمن المحرّم أن يتزوج المرء أخته ؟

أنتيجون

نعم لاشك في ذلك . إنه محرّم أمام الناس وأمام
الآله . لِمَ تسألني هذا السؤال ؟

بولينيس

لأنني لو استطعت أن أتخذك لي زوجا لأسامتك قيادي
حتى تبلغيني إلهك هذا .

أنتيجون

كيف تقترف الشر وترجو أن تصل به إلى الخير ؟

بولينيس

الخير والشر . . . لا يردّد فك إلا هاتين الكلمتين

أنتيجون

لا تنفتح شفتاي عن كلمة إلا إذا كان مصدرها قلبي

كريون وأوديب قد استخفيا أثناء هذا المنظر
وسيطلان مستخفين أثناء المناظر التالية

كريون [إلى أوديب]

كلا إنك لتعلم أني لا أستطيع أن أقبل الزواج
بين المحارم .

أوديب

ص ١

يتنهي بولينيس وانتيجون
ويدخل إتيوكل وإسمين

إسمين

ما أندر لقاءك منفردا ! إنك دائماً في صحبة أخيك .
كيف تستطيع أن توافقه دائماً ؟

إتيوكل

أليس طبعياً أن يفهم الأخ أخاه أكثر مما يفهمه
الاجنبي ؟

إسمين

إن بين أنتيجون وبينى اختلافا عظيما في الذوق ، حتى
 إننا لنختصم في غير انقطاع ، فهي تلومنى في كل ما أحب
 وتزعم لى أنه محظور ، حتى انتهى بى الأمر إلى أنى لا أجرو
 أمامها على الضحك أو اللعب . وأنا أعلم أنها أكبر منى سنا ،
 ولكنى أكاد أعتقد أنها لم تكن صبية قط .

إتيوكل

بولينيس وأنا تويمان قد وُلدنا معا ونشأنا معا ،
 فكل شىء بيننا مشترك ، فأنا لا أذوق لذة ولا أجيل
 خاطراً حتى يجرد على الفور مثل ما أجدر ، فيزيده ذلك
 قوة وأيداً .

إسمين

لست واثقة بأن مما يسرنى أن أجد لى ضريباً ، بل
لست واثقة بأنى لن أكرهه إن وجد ؛ فهناك أشياء
لا تحسن فيها الشركة .

إتيوكل

لم نواجه إلى الآن شيئاً من هذه الأشياء .

إسمين

لو أن أحدكم أحب ...

إتيوكل

لعلنا أن نحب قوءمين .

إسمين

فإذا اتصل الأمر بالملك ؟

إتيوكل

لقد اتفقنا على أن تتناوب العرش .

إسمين

فإن لم تجدا توءمين .

يفضحكان

إتيوكل

سأدعك لأشاوره في ذلك . .

يخرج إتيوكل ويدخل أنتيجون

أنتيجون

كيف تضحكين والشعب في حداد؟

إسمين

إنك أنت لا تضحكين حتى حين يكون كل شيء من
حوالك سعيداً .

أنتيجون

واحسرتاه ! إن في كل مكان من هذه الأرض شقاء
لا يقاس إليه ما قد يوجد من فرح .

إسمين

إنما الفرح في أعماق نفسي ، وإنني لأسمع في قلبي غناء .

إن البكاء على الأشقياء لا يعفيهم من الشقاء ، ولكنك
أنت لا تميلين إلا إلى الذين يألون . ولعل ابتهاج الناس
من حولك أن يسوءك

أنتيجون

إن سعادة بعض الناس تقلقني يا إسمين .

إسمين

بعض الناس ؟

أنتيجون

سعادة أبي . وكلما ازداد حبي له اشتد خوفي من هذه
السعادة التي يزعمها لنفسه . إنه يهمل الإله . وليس
لإنسان معتمد غير الإله .

إسمين

أن فرحى شىء مجنح .

نخر جان

كريون [إلى أوديب]

أترى إلى هؤلاء الفتية كيف يحسنون الحديث !
 « ان فرحى شىء مجنح » . . . جملة ينبغى أن تحفظ .
 أما أنتيجون فظاهر حديثها لا يدل على شىء ، ولكن
 أعلم أنه فى حقيقة الامر شديد العمق ؟ هو بالضبط
 ما كنت أريد أن اشعرك به ، ولكنى لم أكن أعرف
 كيف أقول .

أوديب

ما ذا إذن ؟

كريون

هو أنى لا أرى سعادتك من المتانة بحيث تظن .
ولكن لنستمع لابنيك .

يدخل إتيوكل وپولينيس

إتيوكل

وفي الحق ما الذى نلتمس فى الكتب ؟ إنما نلتمس
فيها الاذن بما نريد أن نعمل ، بل إن الذين يزعمون أنهم
يحبون النظام ويحترمون الأشياء المقررة ، هؤلاء الذين
يسمئهم تيرسياس أصحاب التفكير القويم ، إنما يلتمسون

في الكتب الإذن في أن يضايقوا ويظالموا ويخيفوا
جيرانهم . إنما يلتمسون أصولاً ونظريات تريخ ضارهم
وتضع الحق إلى جانبهم .

بولينيس

أما نحن أصحاب التفكير المعوج فإنما نلتمس في
الكتب الإذن بأن نأثي من الأمر ما تنكره التقاليد
ويأباه حسن الذوق وتحظره القوانين .

إتيوكل

وبعبارة أخرى الموافقة على مخالفة المؤلف .

بولينيس

نعم ، شيء يشبه هذا .

إتيوكل

فأنا الآن مثلاً أبحث في الكتب عن رجل تبسح لي أن
أأخذ إسمين لي خليفة .

كريون [في صوت خافت إلى أوديب]

وقع .

بولينيس

أختك ؟

إتيوكل

أختنا . . . ماذا تنكر من هذا ؟

پولینیس

إن وجدت هذه الجملة فأظهرني عليها .

کریون

وقحان .

اودیپ [إلى کریون]

انصرف .

يخرج کریون

إتيوکل

إذا وجدت ماذا ؟

پولینیس

هذا الإذن . على أن هناك إذنا أقل شمو لا وهو أن
تستغنى عن الإذن .

إتيوكل

أما هذا الإذن فلم أنتظر أن أظفر به في الكتب ! ...

پولینیس

لا تنتفع به ؟

إتيوكل

طبعاً ! وإذا كنت الآن ألتبس الإذن فإنما ألتسمه
لها هي ...

بولينيس

لاسمين ؟

إتيوكل

نعم ، لاسمين ، أما أنت فلست في حاجة إلى إذن .

بولينيس

وإذا منحتك لكمة على هذا الوجه الوقح أظنك
لا تستطيع أن تزدري هذه اللكمة .

إتيوكل

حاول ، جرب ، أنت غيران ! ألم نشترك إلى الآن في
كل شيء ! وإذن فقد أخطأت حين أفضيت إليك بهذا

الحديث . ومع ذلك أيها الاحمق فإني لم أقل هذا إلا
لأغيفظك .

بولينيس

أقسم لي على أن لاريبة بينك وبين إسمين .

إتيوكل

إلى الآن لاريبة . إني أكظم .

بولينيس

ما أراك تكظم كما أكظم .

إتيوكل

لو لم أحدثك لما فكرت في هذا .

بولينيس

أى إنى لم أكن أعلم أنى أفكر فيه ، فهناك أشياء
تفكر فيها دون أن نشعر .

إتيوكر

هذه مادة أحلامنا .

بولينيس

ألم تسأل نفسك قط إلى أى حد يمكن أن يذهب
الشكر ؟ يخيل إلى أنه أشبه شىء بالتنين الذى لانكاد
نعرف منه إلا جسمه وذنبه ، ما ينسحب منه فى الماضى :
وحش غريب غامض أحس أن رأسه المنكر القبيح يسير
ضميرى وشعورى وحسّى ، يتحسس كل شىء ويشم

كل شيء ويرسل في كل مكان رغبة شديدة في
الاستطلاع المغري ، أما سائرهم فيتبعه كما يستطيع .

إتيوكل

هذا التنين هو الذي أسميه بلاء العصر ، أجد في
نفسى أسئلته التي لا تنقضى . إنه ياتهمنى بأسئلته .

بولينيس

إنى أفكر في التنين الذى قهره كدموس . يقال إننا
نشأنا من أسنانه .

إتيوكل

أتصدق ذلك يا بولينيس ؟ يقال أيضاً إن ابنة كدموس
الهالكة حملت في أحشائها الإله با كوس . في هذا العصر

الذى نعيش فيه والذى تقدمت فيه الحضارة ، ومنذ قتل
أبونا آخر ذرية أبي الهول لا تضطرب الآلهة والكائنات
الغريبة في الهواء ولا في الريف ، وإنما تضطرب في أنفسنا .

بولينيس

كدموس^(٢) ، ليكوس^(٣) ، أمفيون^(٤) الذى أهدى
إلينا الكتابة تقيدها خواطرننا . . . إن الإنسانية لتظهرلى
متقدمة السن ، وإنى لأرى هذا كله بعيد العهد بنا !
وإنى لأفكر فى الوقت الذى لم يكن الإنسان فيه قد
اهتدى إلى الكلام .

إتيوكل

إن تيرسياس يعلمنا أن الكلام رهبة من الآلهة
للناس .

بولينيس

إن إيماني بالآلهة لأقل من إيماني بالآبطل .

يتقدم أوديب نحو ابنيه

أوديب

لقد أحسنتم القول ! إني لأعرف فيكما ابني . إني
 لأسمعكما (لقد كنت أسمع عليكما) فآسف لأنني لم
 أتحدث إليكما كثيراً . ولكني أحب أن أقول لكما قبل
 كل شيء . . . يا ابني احترما أختيكما . إن ما يمسننا من
 قريب ليس بالغنيمة النافعة . إن من أراد أن يعظم خليق
 أن ينظر إلى بعيد . ثم لا تكثرا النظر إلى وراء . قد را
 أن الإنسانية ما زالت بعيدة جداً عن غايتها أبعد مما نظن

وبينها وبين هذه الغاية آماذ اطول مما بينها وبين عهدها
الأول الذى لا نكاد نلحظه .

إتيوكل

الغاية . . . ما عسى أن تكون الغاية ؟

أوديب

هى أمامنا مهما تكن . يخيّل إلىّ أنى أرى الأرض
بعد وقت طويل جداً وقد سكنها أناس أحرار ينظرون إلى
حضارتنا كما ننظر نحن إلى الحضارة القديمة فى أول عهدنا
برقيّها البطيء . وإذا كنت قد قهرت أبا الهول فما ينبغى
أن تستريحاً . هذا التنين الذى كنت تتحدث عنه يا إتيوكل
يشبه ذلك الوحش الذى كان ينتظرنى على أبواب ثيبا حيث
كان يجب أن أدخل ظافراً . إن تيرسياس ليثقل علينا

بتصوفه وأخلاقه . لقد تعلمت هذا كله عند پوليب . إن
 تيرسياس لم يخترع شيئاً ، وهو لا يستطيع أن يسيغ الذين
 يبحثون ويخترعون . إنه على ما يزعم لنفسه من الاتصال
 بالآلهة ومن علم الغيب من طريق الوحي أو من زجر الطير ،
 لم يكن هو الذي استطاع أن يحل اللغز ! لقد فهمت ،
 فهمت وحدي أن كلمة السرّ التي ينجو بها الإنسان من
 أبي الهول هي : الإنسان . لم يكن بد من بعض الشجاعة
 ليُنْطَقَ بهذا اللفظ ، ولكنني كنت قد أعددت قبل
 أن أسمع اللغز . وقوتي إنما جاءت من أني لم أكن أقبل
 جواباً غير هذا مهما يكن السؤال الذي يلقي .

فقد ينبغي أن تفهما يا ابنيّ أن كل واحد منا يلقي
 أول الشباب وحشاً قائماً يريد أن يأخذ عليه الطريق .
 وهذا الوحش يا ابنيّ يعرض على كل واحد منا سؤالاً
 خاصاً ، فاعلمنا أن هذه الأسئلة مهما تختلف فإنّ جوابها

واحد لا يتغير . نعم ! ليس هناك إلا جواب واحد لهذه
 الأسئلة كلها ، وهذا الجواب هو الإنسان ، وهذا
الإنسان الفرد بالقياس إلى كل واحد منا هو
شخصيته .

هنا يدخل تيرسياس

تيرسياس

أى أوديب : هذه هى الكلمة الأخيرة لحكمك ؟
 إلى هذا ينتهى علمك ؟

أوديب

بل من هنا يبدأ علمى ، وليست هذه الكلمة إلا
الكلمة الأولى .

تيرسياس

والكلمات التالية ما هي ؟

أوديب

سيبحث عنها ابنائى .

تيرسياس

لن يجداها ، كما أنك لم تجدها .

أوديب [لنفسه]

إنه لأشد محالا من أبى الهول .

إلى ابنيه

دعانا .

يخرج إتيوكل وبولينيس

ثيرسياس

نعم ! إنك تطلب إلى ابنيك أن ينصرفا حين لا تجد
 ما تقول لهما ، وحين يضطر علمك إلى العجز . لا تستطيع
 أن تعلمهما إلا الكبرياء . كل علم يأتي من الإنسان لا من
 الإله ، فهو باطل .

أوديب

لقد أعتقدت وقتاً طويلاً أن إلهما كان يهديني الطريق .

ثيرسياس

إلهما لم يكن شيئاً آخر غيرك ، أنت الذي أُلِّه نفسه .

أوديب

إلهاً أفهمتنى أنت أنى أستطيع أن أستغنى عنه .

تيرسياس

عن هذا الإله الدعى تستطيع أن تستغنى من غير شك
لا عن الإله الحق ، هذا الذى تأبى أن تعرفه ، ولكنه
يراقب خطاك ويتتبع أشد خواطرك خفاء ، الإله الذى
يعرفك خيراً مما تعرف أنت نفسك .

أوديب

من أين لك أنى لا أعرف نفسى ؟

تيرسياس

من أنك ترى نفسك سعيداً .

أوديب

ولم لا أرى نفسي سعيداً حين أكونه ؟

تيرسياس

إن المريض الذي يرى نفسه صحيحاً ليس شديد الشهوة
إلى الشفاء .

أوديب

أتريد أن تقنعني بأنني مريض ؟

تيرسياس

مرضاً شديداً ، لأنه يزيد خطره أنك لا تعلم . أى
أوديبي : إنك تزعم الإِفلات من الإِلَه وتجهل نفسك ،
وأريد أن أعلمك كيف ترى نفسك .

أوديبي

يُخَيَّل إلى مَنْ سَمِعَكَ أن الأعمى منا هو أنا .

تيرسياس

أى أوديبي : إن كانت عينا وجهي مقفلتين ، فإنما
ذلك لترداد عينا نفسي إبصاراً .

أوديب

وليعني نفسك هاتين ما ذا ترى ؟

تيرسياس

أرى بؤسك . ولكن أجبني منذ كم من الوقت
تركت عبادة الإله ؟

أوديب

منذ تركت السعى إلى معابده .

تيرسياس

طبعاً إذا لم تؤد فرائض العبادة خبت في نفوسنا

جدوة الإيمان . ولكن لماذا لم تقرب المعابد حين كانت
في نفسك بقية من إيمان ؟

أوديب

لأن يَدَيَّ لم تكونا نقيتين .

تيرسياس

أى جريمة دنستهما ؟

أوديب

دنستهما جريمة قتل اقترفتها على طريق الإله الذى
كنت أريد أن أستشيريه ، وأبى الهول الذى قهرته .

تيرسياس

من ذا الذى قتلت ؟

أوديب

رجل مجهول كان يعترض طريقى بعربته .

تيرسياس

الطريق التى كانت تقودك إلى الإله . فإن الطريق التى
لقيت فيها أبا الهول طريق أخرى ، ولكنك كنت تعلم
أن الإله لا يرجع جوابا على من دنس يديه .

أوديب

هذا حق ، ومن أجل ذلك عدلت عن استشارة
الاله وأخذت الطريق التي قهرت فيها أبا الهول .

تيرسياس

ماذا كنت تريد أن تطلب إلى الإله ؟

أوديب

أن ينبئني ابن من أنا ؟ ثم أزمعت فجاءة أن أجهل هذا
النسب .

تيرسياس

بعد اقتراف الجريمة !

أوديب

تعلمت نجاة كيف أتخذ من هذا الجهل قوة.

تيرسياس

قد كنت أظن أنك طُلعة شديد الرغبة دائماً في أن
تعلم كل شيء... ولكن قبل هذا التهاون المتعمد...
فسّر لي يا أوديب... لماذا كنت شديد الحرص على أن
تعلم من الإله ما كنت تريد أن تسأل عنه؟

أوديب

لأن وحيًا تنبأ بأنني يجب... أي تيرسياس: إنك
تثقل عليّ، ولن أجيبك بعد الآن.

تيرسياس

لقد تنبأ الوحى كذلك للايوس بأنه سيموت مقتولا
 بيد ابنه . أى أوديب . أى أوديب أيها اللقيط ! أيها
 الملك الآثم ! إن جهلك لماضيك هو الذى يمنحك هذه
 الثقة . إن سعادتك عمياء . افتح عينيك على شقائك . لقد
 استرد الإله منك حقك فى أن تكون سعيداً .

يخرج تيرسياس

أوديب

اغرب . اغرب ! كأَن السعادة كانت هى الشئ الذى
 كنت أبتغيه ، إنما هربت منها حين تركت پوليب قوى
 الساقين مطلق اليدين . من ذا الذى يستطيع أن يصور
 جمال الفجر وهو يلقى أشعته على البرناس^(٥) حين كنت

أُسعى في الندي نحو الإله أَلتمس جوابه ، كنت لا أملك شيئاً إلا قوتي ، ولكني كنت غنياً بما كان في شخصيتي من استعداد ، وكنت أجهل نفسي . نعم لقد كان مصيري معلقاً بجواب الإله ، وكنت أذعن فرحاً لهذا المصير . . . ولكن هنا شيئاً لا أصل إلى فهمه . ومن الحق أني لم أفكر فيه كثيراً إلى الآن . يجب أن يقف الإنسان ليفكر ، وكنت في ذلك الوقت مدفوعاً إلى العمل . . . أَمِن الحق أني تحولت عن طريق الإله لأن يدي لم تكونا نقيتين ؟ لم أكن أحفل بذلك حينئذ . ويخيل إلى الآن أن جريمتي هي التي وجهتني نحو أبي الهول . ماذا كنت أريد أن أطلب من الإله ؟ كنت أطلب جواباً . وقد كنت أشعر بأنني كنت أنا نفسي جواباً لسؤال لم أكن أتبينه ، ثم عرفت أنه سؤال أبي الهول . لقد قهرته أنا الذكي . ولكن منذ ذلك الوقت أَلم تزدد الأشياء كلها

غموضاً من يوم إلى يوم بالقياس إلى ؟ منذ ذلك الوقت
منذ ذلك الوقت . . . ماذا صنعت يا أوديب ؟ لقد نعمت
بالمكافأة ونمت عشرين سنة ، ولكنى الآن أخيراً أحس
الوحش يتمطى فى دخيلة نفسى . إن مصيراً عظيماً ينتظرنى
مستخفياً فى ثنايا التاريخ . أى أوديب لقد مضى وقت
الطمأنينة . أفق من سعادتك .

الفصل الثالث

« إني أضرع إليكم في ألا
تظنوا بي ازدراء القوانين »

[سوفوكل : أوديب في كولونا]

أوديب [وقد أخذ بالمعطف الملكي لچوكاست]

كلا ! أريد أن أعلم . لا تَنَسَلِّي كما ينسلّ الظل .
فلن أعفيك حتى أعلم . لن أخليك حتى أعلم كل ما عندك
من الحقائق . إن هنا شيئاً غامضاً ملتبساً أريد أن أوضحه
مهما يكن من شيء . وأجيبيني أولاً : أكنت تعلمين بموت
لايوس حين دخلت ثيبا بعد أن أتيح لي قهر أبي الهول ؟

چوکاست

كيف أعد بالعرش قاهر أبي الهول دون أعلم أني آيم !

أوديب

فلم يكن يكفي للاستئثار بملك ثيبا أن يفهر أبو الهول ،
بل لم يكن بد من قتل الملك .

چوکاست

بماذا تريد أن تهم نفسك .

أوديب

كلا ! كلا . إنك تتعجلين ، إنما أردت أن أقول لم
يكن بد من أن يموت الملك .

چوکاست

اسمع لي : لست أذكر جيداً حقيقة ما كان ولا كم
مضى من الوقت بين موت الملك ووصولك إلى ثيبا ، إنما
يعرف ذلك حق المعرفة كريون ، وهو يستطيع أن ينبئك
بجليته .

أوديب

ما الذي يعنيني من أمر كريون ؟ أعلمين ماذا قال
لي ؟ لقد قال لي إن من الحق على أن أكافئ قاتل
لايوس لا أن أطاقبه ، فلولا جريمته لما ارتقيت إلى
العرش . ولكن موت الملك أكنت تعلمينه ؟ قولي
يا چوکاست .

چوكاست

كيف تريد أن أذكر ذلك يا صديقي ؟ بماذا تريد أن
تعذب نفسك ؟ لست أعلم إلا شيئاً واحداً وهو أنني لم
أكد أراك حتى أردتك .

أوديب

لم يكن بد من أن يخلو العرش والسرير من صاحبهما
قبل أن يشغلهما شخص آخر . وقتل الملك وحده هو
الذي أتاح لي الظفر بهما . ولكن أنت ألم تكوني
تعلمين أنك حرة ؟

چوكاست

يا صديقي يا صديقي لا تنبه إلى شيء من هذا ؛ فإن أحداً
من المؤرخين لم يلتفت إليه .

أوديب

إِذْنُ فَاُنَا أَفْهَمُ كُلَّ شَيْءٍ . لَقَدْ كُنْتُ تُعْرِفِينِ قَاتِلَ الْمَلِكِ .

چو کاست

ص ٤٠

اوديب

القاتل هو أنا .

چو کاست

اخفض صوتك .

أوديب

لَمْ أَكُنْ قَدْ أَزَلْتُ عَنْ يَدِي دَمَ الْقَتِيلِ حِينَ كُنْتُ أَسْعَى
إِلَى أَبِي الْهَوَلِ لِأَقْهَرِهِ .

چوكاست

قف .

أوديب

لقد كان يريد أن يمنعني من التقدم . كانت عربته
تعارض طريقى ، فلما خاصمته فى ذلك ليفسح لى الطريق
قتلته . هذا المجهول الذى لم يكن يحمل شارة الملك
لم يكن إلا . . .

چوكاست

لماذا تريد أن تعلم ؟

أوديب

أنا شديد الحاجة إلى ذلك .

چوكاست

ألا تشفق على سعادتك ؟

أوديب

لا أشفق على شيء . لا أريد سعادة تقوم على الجهل
والخطأ . هذه السعادة تليق بالشعب ، أما أنا فلست في
 حاجة إلى أن أكون سعيداً . لقد قضى الأمر وتمزق
سحاب تلك الأحلام الساحرة . تستطيع أن تأتي
يأتيرسياس .

يدخل تيرسياس يقوده كريون

تيرسياس

أأنت في حاجة إلى ؟

أوديب

لم يأت وقت الحاجة إليك بعدُ . أريد قبل ذلك أن
أهبط إلى قاعة الهوة . قل لي ، هذا الملك الذي قتلته ...
كلا ! لا تقل شيئاً . لقد فهمت كل شيء . لقد
كنت ابنه .

كريون

آه ! يا للعجب ! ماذا أسمع ... ؟ أتكون أختي أمه !
أوديب هذا الذي كنت أحبه أيمن أن يتخيل الإنسان
أبشع من هذا ؟ ألا أعلم أيكون صهرى أم ابن أختي ؟

أوديب

ألا يعينيك إلا هذا ؟ لا تشعاني بصلات النسب هذه ،
فلو أن ابني كانا لي أخوين لازداد حبى لهما قوة .

كريون

اُئذنى لى فى أن أرى هذا الخلط بين ألوان الشعور
مؤلماً . ومع ذلك فمن حقى عليك ان تحرمنى ، ألسنت خالك ؟

أوديب

يا لها من مكافأة بغیضة على حل اللغز ! ماذا ؟ أهذا هو
اللغز الآخر الذى كان يستخفى وراء أبى الهول . وأنا
الذى كان يهين نفسه بجهل أبويه . بفضل هذا الجهل
تزوجت أمى . واحسرتاه ! واحسرتاه ! وتزوجت معها
ماضى كله : الآن أفهم لماذا نامت مروعتى . لقد كان
المستقبل يدعونى عبثاً لأن چوكاست كانت تردنى إلى
وراء . أى چوكاست : لقد كنت تزعمين فى جنون إلغاء
ما لم يكن بد من وقوعه ، أنت التى كنت أحبها حب الزوج

وكنـت أحبها دون أن أعلم حب الابن . . . لقد آن الوقت
 دعيني ! إني لأقطع ما بيني وبينك من صلة . أما أتم يا بني
 يارفاق غفلتي ، أيتها الحقائق الواقعة لما ثار في نفسى من
 رغبات : سأدخل من دونكم فى المساء لأتم ما كتب لى
 من مصير .

تيرسياس

أى أوديب يا ابن الخطأ والخطيئة لتولد من جديد .
 قد كنت فى حاجة إلى الألم ليتجدد شخصك . خذ بحظك
 من الندم ، أقبل على الإله الذى ينتظرك . سيوضع عنك
 وزرك .

أوديب

بأمر الإله الذى رسم لى طريقى قبل أن أولد نصب
 الشرك لأوخذ فيه . فليس بد من إحدى اثنتين : فإما أن

يكون الوحي قد كذب ، وإما أن يكون الهلاك قد قضى
على . لقد كنت مجبرا .

تيرسياس

كنت مجبرا بحكم الإله الذي يستطيع وحده أن يصلح
بينك وبين نفسك وأن يكفر عنك خطيئتك . ستفكر في
هذا . ولكن أليس من الخير أن ينبه الشعب . لقد
وعدته أنت بعقاب المجرم كما أراد الإله ليرفع عنه الشر .

أوديب

أنبيء من شئت . لا أريد أن يجهل أحد شيئا . ادع
أبنائي أيضا . ولكن أنبئهم أنت . أنبيء الناس جميعا بما
لا أحسن أنا إنباءهم به . أنبئهم بهذه الجريمة التي لا أعرف
كيف أسميها .

يخرج تيرسياس

چوكاست

لماذا تضيع ما يمكن أن يظل بيننا مكتوما ؟ كان من الممكن ألا يتوهم أحد شيئاً . وما زال هذا ممكناً إلى الآن . لقد نسيت الجريمة . إنها لم تمنع ، بل إنها أتاحت سعادتك . لم يتغير شيء .

أوديب

كيف تقولين لم يتغير شيء . لقد تغير كل شيء ، ولم يبق شيء واحد كما كنت أفهمه من قبل . فقد كنت أولاً ابن ملك دون أن أعلم . ولم أكن في حاجة إلى القتل لأمك . كان يكفي أن أنتظر .

چوكاست

أراد الآلهة شيئاً غير هذا .

أوديب

وإذن فما عملته لم أكن أستطيع أن أتركه . نعم لقد كنت أعتقد أن إلهاً يهدينى وكنت أستمّد من هذا الاعتقاد الثقة بسعادتى ، ثم أهملت هذا الاعتقاد نفسه وجعلت أعتمد على نفسى . أما الآن فلست أعرف نفسى فى أعمالى . هناك عمل مع ذلك صدر عني وأود لو أججده . . . لأن مظهره قد تغير . أو لأن نظرى إليه قد تغير على الأقل حتى أصبح كل شيء يبدو لى مختلفاً .

چوكاست

لقد أضلك إله فى ذلك الوقت .

أوديب

إله ، تقولين ؟ لقد كنت أرى نفسى قويا بحيث
 أستطيع أن أستغنى حتى عن الإله . لقد أردت أن أتحول
 عنه حين اتجهت إلى أبى الهول . لماذا ؟ هذا هو الذى
 أفهمه الآن . لقد كنت راضياً بالخضوع للإله حين كان
 يقودنى إلى المجد ، لا حين يقودنى إلى الجريمة ، إلى
 الجريمة التى أخفى على بشاعتها . . . يا لها خيانة من الآلهة
 ملؤها الجبن ! إنها خيانة لا تطاق . . . ألا أزال إلى الآن
 خاضعاً لها ؟ هل تنبأ الوحي بما يجب أن أصنع ؟ أيجب أن
 أستشيرهُ أيضاً ؟ بماذا عسى أن تنبئك الطير يا تيرسياس ؟
 وددت لو أفلت من الآلهة التى تحيط بى ! وددت لو أفلت
 من نفسى . إن فى نفسى شيئاً يعذبنى . إنه يشبه البطولة .
 إنه يتجاوز طاقة الإنسان . وددت لو اخترع ألماً جديداً

لا أدري ما هو . وددت لو اخترع حركة جنونية تدهشم
جميعا . تدهشني أنا وتدهش الآلهة . هاتان العينان
اللتان لم تحسنا تنبيهي لست ...

يخرج أوديب

چوكاست

اتبعه يا كريون . لا تدعه لحظة .

يخرج كريون

چوكاست [وحدها]

أيها التعس أوديب : ما حاجتك إلى المعرفة ؟ لقد عمات
ما استطعت لأمنعك من تمزيق القناع الذي كان يحمي
سعادتنا . لقد طردتني وهأنذا الآن عارية بشعة .
كيف أستطيع أن أظهر أمام عينيك ، أمام أعين أبنائنا ،
أمام أعين الشعب الذي أحس مقدمه ؟ وددت لو

رجعت أدراجي ونقضت كل ما عقد ، ونسيت سريرنا
 المخزى ، ولم أصبح أمام الموتى الذين ينتظروننى إلا زوج
 لايوس وحده ...

تدخل الجوقتان وتخرج چوكاست

الجوقتان [تتحاوران]

أين تذهب الملكة ؟ — تستخفى بالطبع — أين ذهب
 أوديب ؟ يستخفى أيضاً . إنه خجل . — أن يتزوج الرجل
 أمه ويولدها الولد ... كل هذا من شؤون الأسرة وهو
 لا يعنيننا ، إنما يعنى الآلهة الذين يسخطون عليه
 — وهناك قتل لايوس وقد اقترفه ابنه أوديب — وقد
 وعد أوديب أن يثأر له . يمكن أن يقال إنه اضطر نفسه
 إلى حرج شديد . يجب أن يثأر الثائر من نفسه ، وأن

يتخذ نفسه على أنه مقترف الجريمة — لم يكن بد لارضاء
الآلهة من سقوط ملك ، فقد كان شقاؤنا عظيما — أليس
من الطبيعي أن يضحى الملك بنفسه في سبيل شعبه ؟ بلى !
إذا كان من شأن هذه التضحية أن تنقذنا من الشقاء .

الجوqtان معا

أى أوديب الذى كان يرى نفسه سعيدا ويقترب في
سريه أشد الآثام خزيا : ليتنا لم نعرفك . لقد أنقذتنا من
أبى الهول ، هذا حق ، ولكن ازدراءك للآلهة يجر
علينا آلاما لا تحصى ولا يكافئها ما قدمت إلينا من خير .
كل نعيم يُنال على رغم الآلهة ، فهو نعيم مغصوب يجب أن
يُؤدى عنه الحساب إلى الآلهة عاجلا أو آجلا . لنعلن
هذه الآراء جهره ، فإننا نرى تيرسياس مقبلا .

يدخل تيرسياس ومعه أبناء أوديب

تيرسياس

يا بُنَيَّ : إنكم لتعلمون أين تجدون الملجأ إذا فقدتم
 حماية أميكم . هاكم ما سيدفعكم إلى الحياة دفعا . وقد التزم
 أوديب بقسمه أن يثأر من قاتل لايوس .

إتيوكل

ما أرى أنه يستطيع أن يرى لنفسه الحق في عرش ثيبا .

بولينيس

ما أرى أنه يستطيع البقاء في المدينة .

أنتيجون

لا تنطقا بهذه الألفاظ القاسية التي لسمعها الآلهة
 ويردونها عليكم .

إتيوكل

سنتابع سيرة أبينا .

يولينيس

لن نحتاج نحن إلى أن نقتله لنرث عنه العرش

أنتيجون

إن أبي لم يقترب جريمته عن عمد..

إتيوكل

لن تكون لنا خطايا نحتاج إلى أن نكفر عنها .

يسمع صياح

الجوقة

ما هذا الصياح ؟

إسمين

إني خائفة ..

أنتيجون

تعالى إلى جانبي -

يخرج كريون من القصر

كريون

إن بشاعة العقاب لأشنع من بشاعة الجريمة . لقد قضت
 أمكم چوكاست . لقد انتهت حياتها حينما كنت ألاحظ
 أوديب « هذا ما لم يكن لمعنى أن ترياه » . كذلك قال أوديب
 حين عرفنا النبأ . أما أنا فقد رأيته . رأيت أختي البائسة

معلقة . وبينما كنت أجدّ في إسعافها اندفع أوديب إلى
 المعطف الملكي فانتزع منه مشابكه الذهبية ، ثم دفع بها
 في عينيه دفعا عنيفا ، وإذا الدم والصيد يتفجران منهما
 حتى يصيبني رشاشهما ، وإذا هما يسيلان على وجهه .
 وهذا الصياح الذي كنتم تسمعونهُ إنما هو صياحه ،
 صياح الروع أولا ، ثم صياح الألم بعد ذلك .

تيرسياس

لم نعد نسمع هذا الصياح .

كريون

لعله أغشى عليه .

الجوقة

لا ، بل ها هو ذا . إنه لم يتردد الخطأ .

أنتيجون [تترك إسمين وتسرع للقاء أوديب]

أبت . . .

أوديب

هذه أنتيجون التي أمسّ الآن شعرها ؟ ابنتي وأختي
في وقت واحد . . .

أنتيجون

لا تذكر هذا الخزي إلى آخر الدهر . لا أريد أن
أعرف إلا أنني ابنتك .

أوديب

أنت التي لم تكذبنني قط . أنبئي هذا الذي لم يعد يرى :
أين يكون تيرسياس .

أنتيجون

هنا . أمامك يا أبت .

أوديب

قريباً مني بحيث يسمع صوتي ؟

تيرسياس

نعم إني أسمعك يا أوديب . أتريد أن تتحدث إليّ ؟

أوديب

أهذا هو الذي كنت تريده يا تيرسياس ؟ كنت
تحسدني على ضوئي ، فأردت أن تجرني إلى ظلمتك ؟ إني
مثلك أشاهد الآن الظلمة الإلهية . لقد عاقبت عينيّ الملتين

لم تضيئاً الى الطريق . لن تستطيع منذ الآن أن تستطيل
على بما يمنحك العمى من تفوق .

تيرسياس

إذن فهي الكبرياء التي دفعتك إلى أن تفقأ عينيك .
لم يكن إلا أنه ينتظر منك هذا الإثم الجديد ثمنا لجريماتك
الأولى ، إنما كان ينتظر منك الندم ليس غير .

أوديب

الآن وقد ثاب إليّ الهدوء وسكت عني الألم وفارقتني
السخط على نفسي ، أستطيع أن أجادل يا تيرسياس . إني
لمعجب بما تعرض عليّ من ندم . أنت الذي يزعم أن الآلهة
يقودوننا وأنى لم أكن أستطيع أن أفلت مما قدروا عليّ .

لعل هذه التضحية التي فرضتها على نفسي كانت مقدرة على
 هي أيضاً بحيث لم أكن أستطيع أن أتجنبها . لا بأس !
 لقد ضحيت بنفسي عن إرادة ورضا ، لقد بلغت من
 الرفعة منزلة لم أكن أستطيع أن أعدوها إلا إذا وثبت
 محارباً لنفسي .

كريون

إني لسعيد أيها العزيز أوديب بأن أملك محتمل على
 الأقل . فقد بقي على أن أنبئك بشيء مؤلم . لن تستطيع البقاء
 في ثيبا بعد كل الذي كان وبعد أن علم الشعب بجريمتك .

الجوقة

إننا نطلب أن ينفذ أمر الآلهة ، وأن تعفينا من
 محضرك ومن آلامنا .

كريون

إن إتيوكل وپولينيس كيظمعان في العرش منذ الآن .
 وإذ كانا مايزالان حديثين لا يستطيعان النهوض بأعباء
 الملك ، فسأستأنف الوصاية على العرش مرة أخرى .

تيرسياس

ما أرى أن شيئاً يدهشك حين ترى ابنك ينتفعان
 بما قدمت إليهما من قدوة .

أوديب

سأترك لهما راضياً هذه المملكة التي لم يفتحها ولم
 يستحقها ، ولكنهما لم ينتفعا من القدوة التي قدمت
 لهما إلا باليسير الذي يتملق شهواتهما . لقد أخذنا بالسهل
 وتجنبنا الصعب العسير .

أنتيجون

أنتى أبت : إني لأعلم أنك حين تختار لا تؤثر من الأمر
إلا أنبله ، ومن أجل ذلك أزمعت ألا أفارقك .

تيرسياس

لقد وعدت بأن تمنحني نفسك للإله ، فلن تستطيع
أن تتصرف في أمرك كما تحبين .

أنتيجون

كلا ! لن أخلف موعدى . إني حين أفلت منك
يا تيرسياس سأظل وفية للإله . بل يخيل إلى أنى أخلص
في خدمته حين أتبع والدى أكثر مما أخلص فيها إن
بقيت معك . لقد سمعتك تعلمنى حقائق الإله إلى اليوم ،
ولكن حظى من التقوى سيعظم ويزداد حين أصغى

لعقلي وقلبي . أى أبت : ضع يدك على كتفى ، فلن يدركنى
ضعف ولا وهن . تستطيع أن تعتمد علىّ . سأزيل الشوك
من طريقك . قل إلى أين تريد أن تذهب ؟

أوديب

لا أدرى . سأذهب أمامى . . . لا ألوى على شئ .
لا وطن لى ولا أسرة . . .

إسمين

إنى كَيْحَزُنْنى أن أرا كما تذهبان على هذا النحو .
سألبس ثياب الحداد ، وسأدر ككما ممتطية جوادا .

تيرسياس

قبل أن ينطلق أوديب اسمعوا جميعاً لما أوحى إلىّ

الآلهة . إنهم يَعدون أن يمنحوا أعظم بركاتهم للأرض
التي تستقر فيها جثته .

كريون

حسن . . . ! أترى أنك تحسن إن أقمت بيننا ؟ نستطيع
أن نتفق .

أوديب

لقد سبقت الكلمة يا كريون . إن نفسي قد فارقت
ثيبا منذ الآن ، وقد تقطع كل ما بيني وبين الماضي من
صلات . لست ملكا ، لست شيئا ، إنما أنا ابن سبيل
لا اسم له ، قد نزل عن ثرائه وعن مجده . بل عن نفسه
أيضا .

الجوقة

أقم معنا يا أوديب . سنُغنى بك . ستري . تذكر أنك
 أسديت إلينا فيما مضى من الدهر عوارف كثيرة . لأن
 كانت جريمتك قد أحفظت علينا الآلهة ، لقد انتقمت لها
 من نفسك انتقاماً عظيماً . فكر في الأجزاء عليك من
 أبناء ثيبا . فكر في شعبك . ما الذى يعينيك من أمر الذين
 لا يعرفونك ؟

أوديب

مهما يكونوا فإنهم من الناس . وإنه ليلذلى أن أحمل
 إليهم السعادة ثمناً لما ألقى من ألم .

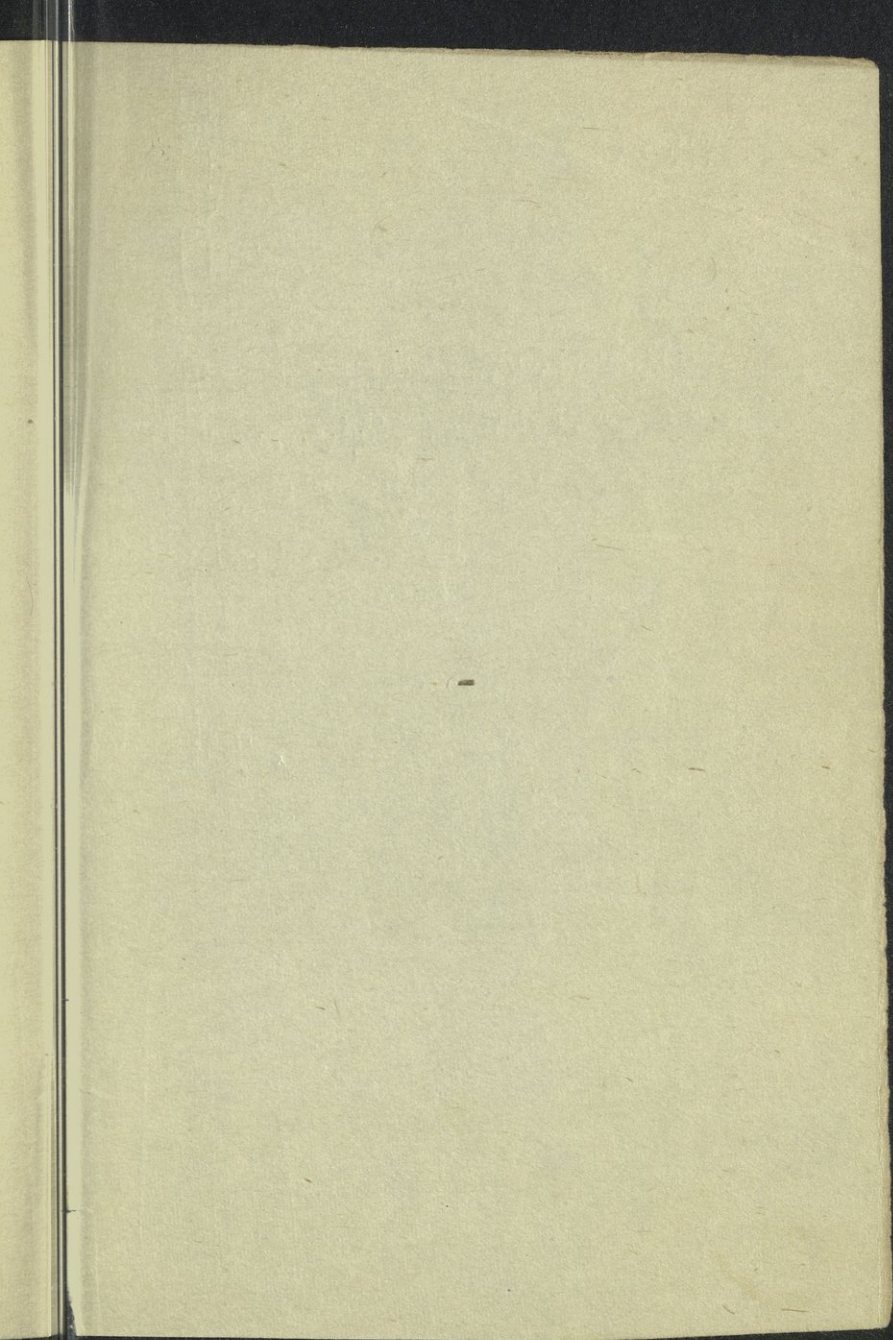
تيرسياس

ما ينبغى أن تريد لهم السعادة ، وإنما ينبغى أن تريد
 لهم النجاة .

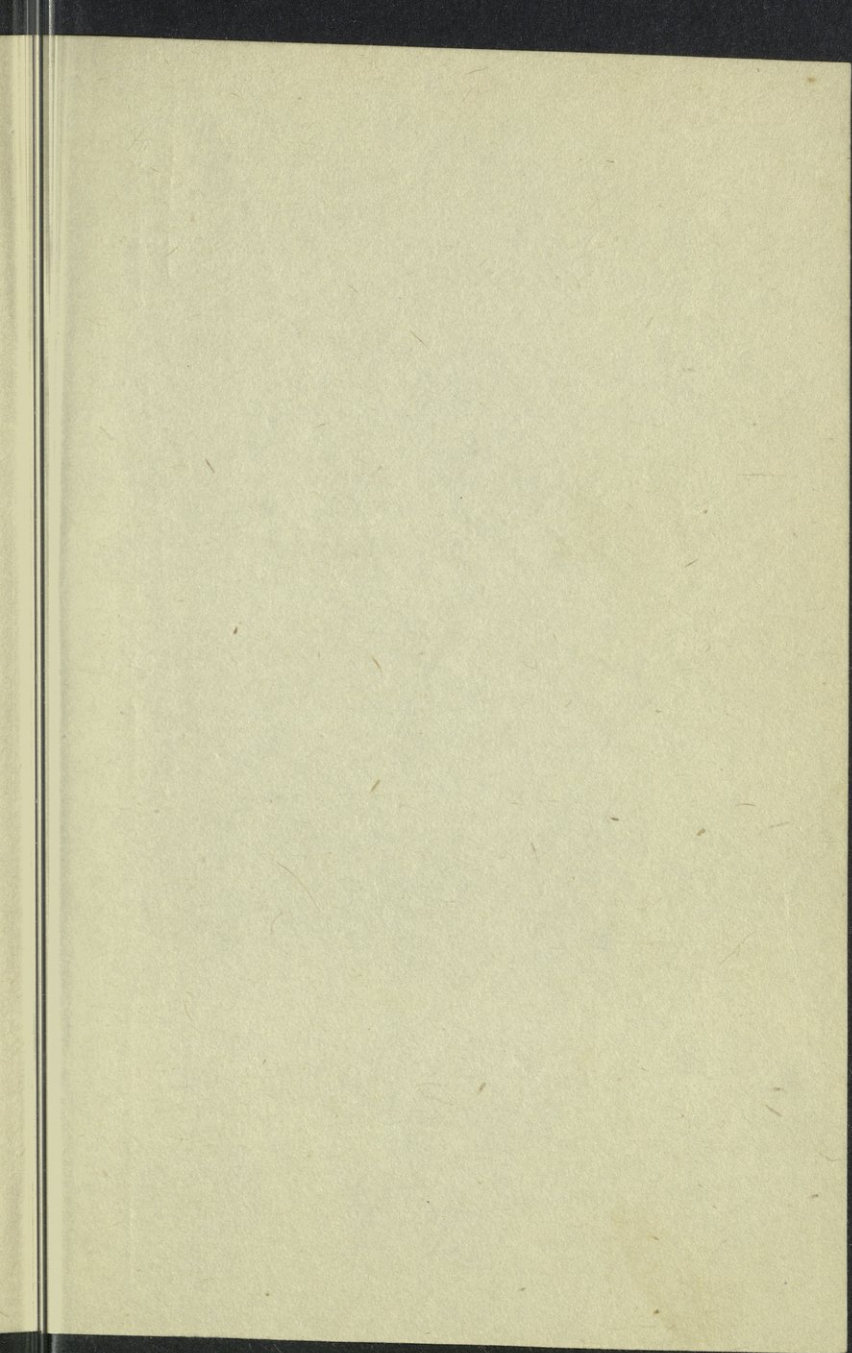
أوديب

سأدعك تفسر هذا للشعب . وداعاً ! تعالى يا ابنتي .
 أنت الوحيدة بين أبنائي أريد أن أعرف نفسي فيك ،
 وأريد أن أكل نفسي إليك ، أى أنتيجون النقية : لن
 أسلم قيادى إلا إليك .

كتاب قسم جديد
 اندريس جسد الكتاب هذه
 القصة التاريخية المأثرة



تیسویں



أهدى هذا السفر الأخير إلى

آن هورجون

في غير تكلف

فبفضل ضيافتها الحلوة ورعايتها المتصلة وعنايتها الدائمة

أستطعت أن أتمه

وأسجل هنا إعترافي بالجميل

لچاك هورجون

ولكل الذين أتاحوا لي أثناء هذا النفي الطويل

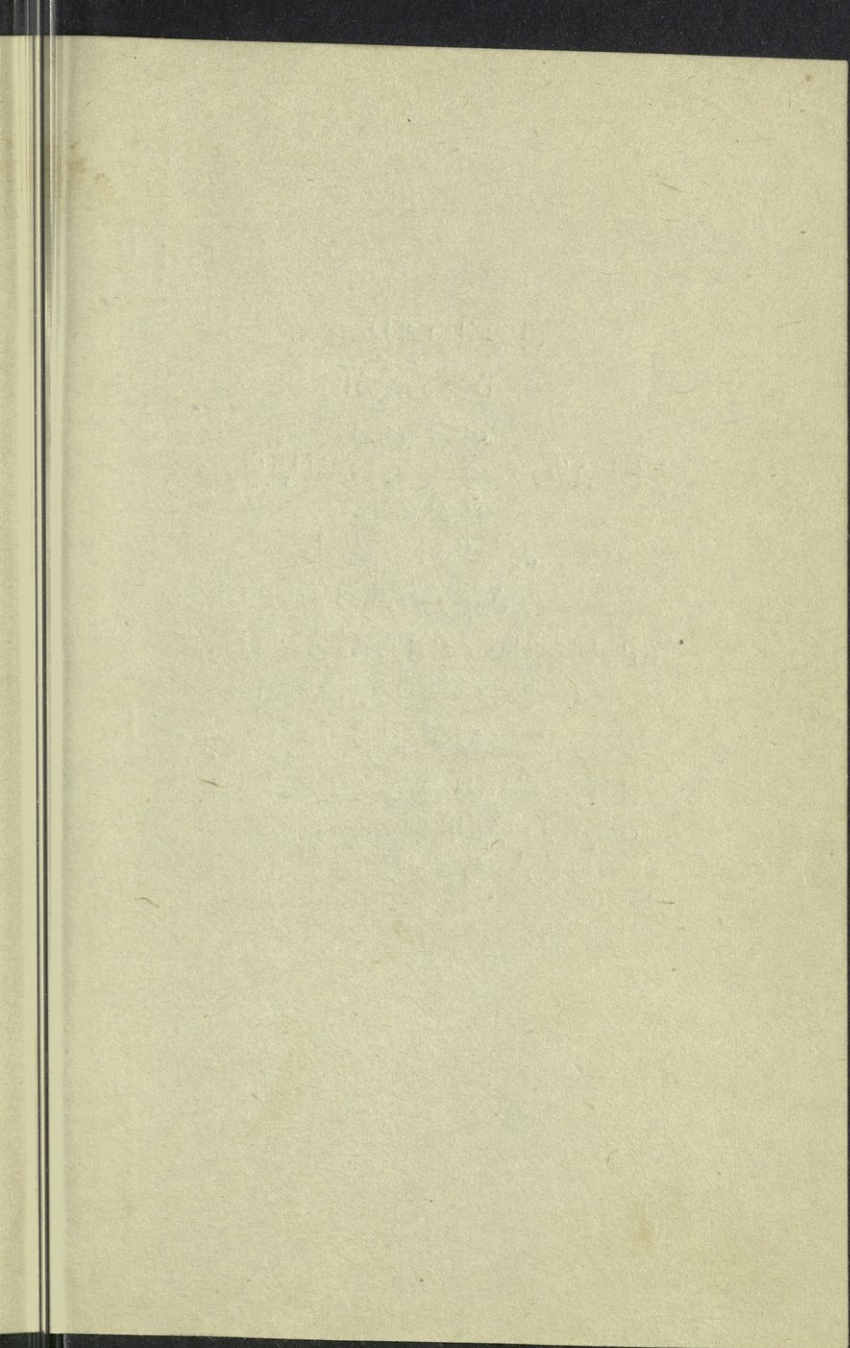
أن أعرف قيمة الصداقة وبنوع خاص

لچان أمروش

الذي أحسن تشجيعي على هذا الجهد . ولعلني

لم أكن بدونيه أجد الميل إلى البدء فيه مع أني

أفكر في كتابه منذ وقت طويل .



لقد كنت أتمنى أن أقصّ حياتي على ابني هيپوليت^(٦)
لأعظه وأعلمه، ولكن قد قضى. وسأقصّ حياتي مع ذلك.
وقد كان مما لا سبيل إليه، لو عاش هيپوليت، أن أروى
بعض حوادث الغرام التي عرضت لي. فقد كان يظفر غلوًّا
شديداً في الحياء، ولم أكن أجروء على أن أتحدث أمامه
عما لقيت من الحب. على أن الحب لم يكن ذا خطر إلا في
الخطر الأول من حياتي. ولكنه عأمني على الأقل أن
أعرف نفسي بالقياس إلى الوحوش المختلفة التي قهرتها.

فقد كنت أقول لهيپوليت : « يجب قبل كل شيء أن يعرف الإنسان من هو ، ثم يحسن بعد ذلك أن نستحضر في شعورنا ونأخذ بأيدينا ما ترك لنا من ميراث . وسواء أردت ذلك أم لم ترده ، فأنت الآن ، كما كنت أنا من قبلك ، ابن ملك . لا سبيل إلى اتقاء ذلك . إنه واقع . إنه ملزم . » ولكن هيپوليت لم يكن يلتقى إلى ذلك سمعاً . كانت عنايته به أقل من عنايتي حين كنت في سنه ، وكان مثلى لا يحفل بأن يعرف من ذلك شيئاً . يا للأعوام الأولى التى نحياها فى البراءة والنقاء ! نشأة غير مكترثة ! لقد كنت الريح وكنت الموج . وكنت نباتاً وكنت طائراً . لم أكن أقف عند نفسى ، وكان كل اتصال بينى وبين العالم الخارجى لا يعلمنى حدود طاقى بمقدار ما يوقظ فى من ميل إلى اللذات . لقد مسحت بيدي الثمر وقشر الشجر الرخص ، والحصى الأملس على ساحل البحر ، وشعر الكلاب والخيول

قبل أن ألمس النساء . لقد كنت أثب إلى كل ما كان يقدم
 إلى پان (٧) ، أو ذوس (٨) ، أو تيتيس (٩) ، من جمال .
 وذات يوم قال لى أبى إن الأمور لا تستطيع أن
 تمضى على هذا النحو . « لماذا ؟ » لأنى بالطبع كنت
 ابنه وكان يجب أن أظهر نفسى كفتا للعرش الذى سارته
 عنه ... على حين كنت أرى نفسى سعيداً بالجلوس عارياً على
 العشب الرخص أو على الرملة الملتهبة . ومع ذلك لا أستطيع
 أن أخطئ أبى ، فقد كان يحسن بإثارة عقلى خصماً لى . وأنا
 مدين لذلك بكل ما أتيح لى من قيمة فيما بعد ، بانقطاعى
 عن هذه الحياة المهملة مهما يكن هذا الإهمال لذيذا رائقاً .
 لقد عاينى أن الإنسان لن يظفر بشيء عظيم ولا بشيء
 قيم ولا باق إلا إذا بذل الجهد فى سبيله .
 وقد بذلت أول جهد مستجيباً لدعائه . كان ذلك حين
 كان يدعونى إلى أن أرفع بعض الصخور لأبحث تحتها عن

سلاح كان يزعم لي أن يوسيدون^(١٠) خبأه . وكان يضحك حين كان يرى هذا التمرين يزيد قوتي نموا واشتدادا . وهذا التمرين العضلي كان يصاحب تمرينا للإرادة . وبعد أن رفعت كثيرا من الصخور الثقيل حول القصر باحثا في غير طائل أخذت أحاول أن أنزع أحجار عتبة القصر ، هنالك وقفني وقال :

— إن السلاح أقل خطراً من الذراع التي تحمله ، وإن الذراع أقل خطراً من الإرادة العاقلة التي توجهها . هاك السلاح . لم أرد أن أدفعه إليك قبل أن تستحقه . وإني أجد عندك الآن الرغبة في اصطناعه ، وهذا الميل إلى المجد الذي لن يتركك تصطنعه إلا في الأمور النبيلة ذات الخطر وفيما يسعد الناس . لقد انقضى عصر طفولتك ، فكن رجلا . تعلم أن تبين للناس ما يمكن أن يكون وما يريد أن يكون واحد منهم . إن هناك أمورا جساما يجب أن تتحقق . تحقق نفسك .

كان أبى إيجيه ^(١١) رجلاً كريماً ملاً بما كل الملاءمة لما
يجب أن يكون عليه الرجل من الخصال . وأكاد أتوهم فى
حقيقة الأمر أنى لست ابنه إلا ظناً . قيل لى هذا ، وقيل
لى كذلك إن الإله يوسيدون هو الذى ولدنى . فإذا
صح هذا فقد ورثت عن هذا الإله أخلاقى التى لا تثبت
على شىء . فلم أستطع أن أثبت على حب امرأة . وكان إيجيه
يمنعنى من ذلك أحياناً . ولكنى أحمد له وصايته ، وأحمد
له كذلك أنه رد فى أتىكا كثيراً من الاعتبار والتقدير
إلى عبادة أفروديت ^(١٢) ، ويحزننى أنى دفعته إلى الموت بما

اضطرت إليه من هذا النسيان الخطير حين أنسيت أن
أرفع على السفينة التي عادت بي من أقريطش^(١٣) شرعاً أيضاً
مكان شرعها السود ، كما كان قد تم الاتفاق بيننا على ذلك
إذا عدت منتصراً من هذه المغامرة الخطرة . وليس
الإنسان قادراً على أن يفكر في كل شيء . وفي الحق أني
سألت نفسي — وقلما أسأله — لا أستطيع أن أوكد
أنني تركت ذلك عن نسيان ؛ فقد كان إيجيه كما قلت يقوم
عقبة بيني وبين الحب ، ولا سيما بعد أن استكشفت له
ميديه^(١٤) وسيلة ترده إلى الشباب حين رأته ورأى نفسه
هرما يسرع إليه الفناء ، فكان يصدني بأهوائه عن
أهوائي ، على حين أن طبيعة الأشياء تقتضي أن يتناوب
الناس حظوظهم في هذه الحياة . ومهما يكن من شيء
فقد علمت حين دخلت أتيننا أنه لم يكد يرى الشرع
السود حتى قذف بنفسه إلى البحر .

ومن الحقائق أنى أدت إلى الناس خدمات جليلة ،
فقد ظهرت الأرض من كثير من الطغاة وقطاع الطرق
والوحوش ، وجبت طرقاً خطيرة لم يكن المغامرون يحاولون
سلوكها إلا خائفين ، وصفت السماء حتى أصبح الناس أقل
إحناء للرءوس وأقل خوفاً من المفاجآت . . .

ويجب الاعتراف أن مظهر الريف في ذلك الوقت لم
يكن يشعر بأمن أو طمأنينة ؛ فقد كانت تمتد بين القرى
المتناثرة مسافات من القفر تقطعها طرق مخوفة . وكانت
هناك غابات كثاف وثنيات ضيقة بين الجبال . وكان أرصاد
من قطاع الطرق قد استقروا في الأماكن المريبة ، وجعلوا
يقتلون المسافرين وينهبون ما كانوا يحملون ، ولم يكونوا
يخضعون لرقابة شرطة أو حراس . وكان قطع الطريق
يضاف إلى السطو والسرقة العنيفة وإلى اعتداء الحيوان
المفترس وإلى هذه القوى المنكرة لعناصر الطبيعة

الماكرة، بحيث لم يكن الناس يتبينون حين يرون مغامراً
أصابه مكروه: أكان ضحية لمكر الآلهة أم كان ضحية
لعدوان الناس؟ كما أنهم لم يكونوا يعلمون أكان
هذا الوحش أو ذاك كأبي الهول الذي قهره أوديب
والجورجوني^(١٥) التي قتلها بليروفون^(١٦) صنفاً من الناس
أم صنفاً من الآلهة؟ كل شيء لا يسهل فهمه كان يظن به
أنه من عمل الآلهة، وقد كان الدين مليئاً بالخوف حتى كان
الناس يرون البطولة إثماً وخوراً. وكان أول الانتصار
الذي ظفر به الإنسان وأعظمه خطراً هو انتصار الإنسان
على الآلهة.

ولم يكن سبيل إلى قهر العدو سواء أكان إنساناً أم
إلهاً إلا أن تظفر بسلاحه وتقهره بهذا السلاح. كذلك
فعلت حين اغتصبت من بيريتيس^(١٧) سلاحه، وكان مارداً
عانياً بعيد الصيت يقيم في مدينة ابيدور^(١٨). وصعقة

ذوس نفسها أوكد أن وقتاً سيأتى يستطيع الناس فيه أن يسخروها لحاجاتهم كما استطاع پرومثيوس^(١٩) أن يختلس النار من الآلهة

نعم ! هذه هى الانتصارات الحاسمة . أما بالقياس إلى النساء وهن مصدر قوتى وضعفى فى وقت واحد ، فلم يتح لى انتصار حاسم قط ، وإنما احتجت دائماً إلى استئناف الجهاد . لم أكن أفلت من إحداهن إلا لأقع فى حبال غيرها . ولم أكن أظهر على إحداهن إلا بعد أن تظهر هى على . لقد كان پيريتوس^(٢٠) محقاً حين كان يقول — وما أكثر ما كنا تتفق فى رأى — إنما المهم هو ألا يدع الإنسان نفسه يصبح لعبة لإحداهن ، كما كان هيرقل^(٢١) بين ذراعى أمفال^(٢٢) . ولما كنت لا أستطيع ولا أريد أن أمتنع على النساء ، فقد كان يقول لى كلما رآنى نهبا للحب « امض ولكن تحول » . أما تلك

التي أرادت أن تحتاط لي فتكلفت أن تصل بينها وبينى بخيط
أمسكته ، ولكنه لم يكن يمتد إلى غير مدى ، فهي التي ...
ولكن الوقت لم يثن للحدث عن هذه القصة ...
وكانت أنثيوب^(٢٣) أقربهن إلى امتلاكى . كانت
ملكة الأمازون^(٢٤) ، وكانت كبقية رعيتهما الإناث
عوراء الصدر ليس لها إلا ثدى واحد ، ولكن هذا
لم يكن يعيبها . كانت قد مرنت على السباق والصراع ،
وكانت عضلاتها صلاباً غزاراً كعضلات المصارعين من
فتياتنا . جاهدتها . وكانت تضطرب بين ذراعى ، كأنها
السنور العظيم . فإذا نزع سلاحها جاهدت بالمخالب
والأسنان ، وكانت تثور حين ترانى أضحك — وكنت
مثالها لاسلاح لى — وتثور خاصة لأنها لم تكن تملك أن
تصرف عنى حبها ، لم تتح لى قط امرأة أجمع منها لخصال
العذراء ولا على بعد ذلك أنها لم ترضع ابنتا هيپوليت إلا

من ثدى واحد ، فقد كنت حريصاً على أن يكون هذا
العفيف النافر ولى عهدى . وسأقص فيما بعد ما جعل
حياتى كلها حداداً . فليس يكفى أن يوجد الإنسان ،
ولا أن يكون قد وجد ، وإنما يجب أن يورث ويعمل
بحيث يشعر أن وجوده لم يتم ، وأنه مازال متصلاً محتاجاً
إلى أن يكمل . كذلك كان يعيد على جدى . لقد
كان بيتيه ^(٢٥) وإيجيه أذكى منى قلباً ، كما أن
پيرتيوس يفضلنى الآن فى الذكاء . ولكن يعرف الناس
فى حسن التقدير فأما سائر خصال الخير فتأتى بعد ذلك
ما دمت لم أفقد قط الإرادة التى تدفعنى إلى الرغبة فى
الإنقاذ لكل ما أحاول . كما أن لى حظاً من شجاعة
بدفعنى إلى محاولة الأمور الجسام . كنت من أشد الشباب
طمعاً ، وكانت المآثر التى تنقل إلى عن ابن خالتي هرقل
زيد شبابى طموحاً وقلقاً ، ولما تركت تريزين ^(٢٦) وهى

المدينة التى كنت أعيش فيها لألحق فى أئينا بأبى المفروض ،
لم أرد أن أسمع للنصائح التى قدمت إلىّ على ما كانت تمتاز
به من سداد . كان يشار علىّ بركوب البحر ، لأن طريق
البحر أشدّ أمناً . ومن أجل هذا الخطر كنت أؤثر
طرق البر لأنها بما فيها من التواء كانت تتيح لى ان أظهر
حسن بلائى . وكانت جماعات مختلفة من قطاع الطرق قد
ملأت الأرض فساداً أسرفت فى ذلك آمنة منذ أخذ
هيرقل يستأنث على قدمى أو مفاصل . كنت فى
السادسة عشرة . وكان الميدان أمانى رجبا ، وكانت نوبتى
قد حلت ، وكان قلبى يتوثب إلى أقصى حدود ما كنت
أجد من فرح ومرح . هنالك صحت : ما حاجتى إلى الأمن
أو إلى طريق قد طهرت من الخوف . وكنت أزدرى
الراحة فى غير مجد ، كما كنت أزدرى الترف والكسل .
وإذن فقد جربت نفسى حين سلكت إلى أئينا برزخ

پيلوپونيز (٢٧) ، فعرفت قوة ذراعى ، وقوة قلبى ، حين
 قهرت بعض المخوفين من قطاع الطريق : سنيس (٢٨) ،
 بيربيتيس ، بروكروست (٢٩) ، چيريون (٣٠) ، (لقد
 أخطأت إنما قهره هيرقل ، أما أنا فقد أردت أن أقول
 سيرسيون (٣١)) ، بل ارتكبت فى ذلك الوقت خطأ يسيراً
 حين أسأت إلى سيرون (٣٢) ، وكان فيما يظهر رجلاً
 كريماً حسن النية حسن الرعاية لمن يمر به ، ولكنى لم أعلم
 ذلك إلا بعد فوات الوقت ، ومن حيث إنى قد ظهرت
 عليه وقتلته فقد تقرر أنه كان مجرمًا أثمًا .

وفى طريقى إلى أثينا أيضاً لقيت أول ابتسامات الحب
 بين جماعة من نبات الهليون . كانت بيريجون (٣٣) طويلة
 لدنة ، وكنت قد قتلت أباهها ، فكافأتها بأن منحتها غلاماً
 رائعاً هو : مينالپ (٣٤) . وقد فقدت الصبي كما فقدت
 أمه لأنى تحولت عنهما ، حريصاً على ألا أتأخر فى الطريق .

وكذلك كنت دائماً أقل اشتغالا واتصالا بما عملت ، منى بما
ينبغي أن أعمل . وكنت أرى أن أشد الأشياء خطراً هو
ما أنتظر لا ما أتمت .

ومن هنا لن أطيل الوقوف عند هذه المعدات اليسيرة
التي لم تكد تمسنى إلا قليلا . ولكن هاأنذا بإزاء مغامرة
رائعة لم يتح مثلها لهيرقل نفسه . فيجب أن أقصها
مفصلة .

إنها قصة معقدة . يجب أن أقول قبل كل شيء إن
 جزيرة أكريطش كانت قوية . وكان يملك عليها مينوس ^(٣٥)
 وكان يرى أتيكا مسؤولة عن موت ابنه أندروجيه ^(٣٦) ،
 وكان قد فرض علينا ليعاقبنا ضريبة يجب أن نؤديها في
 كل عام . كان يجب أن تقدم إليه سبعة من الفتيان وسبعاً
 من الفتيات ليقربوا فيما كان يقال طعاماً للمينوتور ^(٣٧) ،
 وهو الكائن الغريب الذي ولدته پاسيفاييه ^(٣٨) زوج
 مينوس حين كانت بينها وبين ثور بعض الصلات . وكان
 هؤلاء الضحايا يختارون من طريق القرعة .

وكنـت في هـذا العـام قد عـدت إـلى بـلاد الـيونان . ومع
أن الحظ كان خـليقاً أن يـحـمـيني — فـهو يـحـمـي الأـمـراء عـن
رـضا — فـقد أـلـحـت في أن أـكـون بـين الـضـحـايا عـلى رـغم
ما وـجـدت مـن مـقاوـمة المـلـك والـدى . . . فـلـست في حـاجـة
إلى الـامـتـيازات المـوروثـة ، ولا أريد أن أـمـتـاز إلا بـشـجـاعـتي
وبأسى . وكنـت أدير في نـفـسى أنى سـأـقـهر المـينـوتـور وأريـح
اليونان مـن هـذه الـضـريـبة البـشـعة ، وكنـت عـلى ذلـك مـشـوقـا
إلى أن أرى أقريـطـش الـتى كـانـت تـرسل إلينا فى أتـيـكا بغير
انـقـطـاع أشـياء جـمـيلة مـتـرفـة غـريـبة . فـقد سـافـرت إـذن
بـعد أن الـضـمـمت إلى الـثـلاثـة عـشر الآخـرين وبـينـهم صـديقى
بيريتوس .

وقـد أـلـقت سـفـينـتـنا مـرسـاها ذات صـباح مـن أيام مـارس
فى ضـاحـية أـمـنـيسـوس ^(٣٩) وهى الميناء القريب بمـدـينة
كنـوسـوس ^(٤٠) عاصمة الجزيرة حيث يقيم الملك وحيث

بنى قصره . وكان يجب أن نصل من الليل ، ولكن
عاصفة شديدة أخرتنا . فلما هبطنا إلى الساحل أحاط بنا
أحراس مسلحون ، ثم أخذوا سيفي وسيف صديقي
بيريتوس ، واستوثقوا من أننا لا نحمل سلاحاً آخر ،
ثم قادونا لثمل بين يدي الملك الذي أقبل من كنوسوس
مع حاشيته . وكانت جماعات ضخمة من الشعب تزدهم
لترانا . وكان الرجال جميعاً عراة الصدور والظهور ، وكان
مينوس وحده وقد جلس تحت مظلته قد اتخذ رداء أحمر
قانياً غير مخيط يتدلى من كتفيه إلى كعبيه في أثناء نخمة .
وعلى صدره العريض كأنه صدر ذوس قد انتظمت عقود
ثلاثة بعضها فوق بعض . وكثير من أهل الجزيرة
يتخذون مثل هذه العقود ولكنها عقود مبتذلة . أما
عقود الملك فكانت تأتلف من الجمان وقطع من الذهب
قد نقشت عليها أزهار السوسن . وكان يجلس على عرش

تعلوه الفأس المثناة ، واتخذ في يمينه التي قدمها إلى أمام
مباعداً بينها وبين جسمه صولجاناً من الذهب يبلغ قامته
طولا ، وأمسك بيده الأخرى زهرة مثلثة الأوراق
تشبه ما اشتملت عليه عقوده لولا أنها أكبر منها . وهي
في أكبر الظن من ذهب . وعلى تاجه الذهبي قامت علامة
ضخمة من ريش الطاوس والنعام والألكيون^(١) . وقد
أطال النظر إلينا بعد أن رحب بنا في جزيرته مجريا على
ثغره ابتسامة توشك أن تكون ساخرة ؛ فقد كان يعلم
أننا إنما أتينا إلى جزيرته مقضيا علينا . وكانت الملكة
وابنتاها الأميرتان قائمات إلى جانبه . وقد خيل إلى فوراً
أن كبرى الأميرتين قد لحظتني . وقد هم الأحراس أن
يقودونا ولكن رأيتها تميل إلى اذن الملك وتقول له في
صوت خافت باليونانية . وقد سمعتها لأنني دقيق السمع :
« إنى أضرع إليك في أن تبقى على هذا » . تقول ذلك وهي

تشير إلىّ بأصبعها . هنالك ابتسم مينوس وأصدر امره
فلم يقدر الحرس إلا رفاقي . ولم أكد أنفرد بين يديه حتى
أخذ في سؤال .

ومع أني قد أزمعت أن أصدر عن الحذر الشديد
في كل ما آتني ، وألا أظهر شيئاً من نسي النبيل ،
ولا من خطي الجريمة ، وقد ظهر لي فجأة أن من الخير
أن ألعب لعباً صريحاً ما دامت الأميرة قد التفتت إلىّ ،
وأن شيئاً لن يستطيع أن يصل بينها وبينى ويكفل لي
عطف الملك علىّ كما يستطيع ذلك إعلاني إليهما أني
حفيد بيتيه . بل قد لمحت بأن الناس يتحدثون في أتيكا
بأن بوسيدون العظيم قد ولدني . هنالك قال الملك في
جد : سنتبين ذلك بعد قليل حين نخضعك لامتحان
الموج . فلم أتردد في أن أجيب بأنني واثق بأن أخرج
ظافراً من كل امتحان . وقد أظهر سيدات القصر هؤلاء

شيئاً من التأثر حين رأين ثقتى بنفسى ، وإن كنت لم أر ذلك فى وجه مينوس . قال الملك :

— أما الآن فأنصرف إلى تجديد قواك . فإن رفاقك ينتظرونك على المائدة ، ويجب أن تكون محتاجاً كما يقال هنا إلى أن تقيم أودك بعد هذه الليلة الشاقة . خذ حظك من الراحة . وأرجو أن تشهد عند آخر النهار ألعاباً رسمية ستقام تكريماً لك . ثم نستصحبك أيها الأمير ثيسوس إلى كنوسوس ، حيث تنام فى غرفة من غرفات القصر ثم تشاركنا من غد فى العشاء . سيكون عشاء يسيراً ، عشاء أسرة ، ترسل فيه نفسك على سجييتها ويسعد هؤلاء السيدات بأن يسمعنك تحدثهن بما قدمت من مآثر وما أحسنت من بلاء . أما الآن فسيتخذن زينتهن استعداداً للحفل . سنلقاك هناك وستجلس مع رفاقك تحت المقصورة الملكية مباشرة ، ذلك مكان

مقسوم لك لأنك أمير . وسيشرف رفاقك بالجلوس فيه معك ؛ فما أحب أن أفرق بينك وبينهم .

وقد أقيم هذا الحفل في ملعب عظيم في شكل نصف دائرة ينفرج ممالي البحر . وقد شهدته جمهور ضخمة من الرجال والنساء أقبلوا من كنوسوس وليتوس ^(٤٢) ، بل جاء بعضهم من جورتين ^(٤٣) ، على أنها تبعد عن مكان الحفل نحو مئتي فرسخ ، وجاء بعض الناس من مدن وقرى أخرى مجاورة ، كما جاء آخرون من الريف الذي يقال إنه مكتظ بالسكان . وكان الدهش يأخذني من جميع حواسي ، ولم أكن أستطيع أن أصور إلى أي حد كنت أرى أهل الجزيرة غرباء . ولما لم يكن يتاح لهم جميعاً أن يتخذوا مجالس في المدرج ، فقد كانوا يزدحمون ويتدافعون في المسارب وعلى درجات السلم . وكانت جماعة النساء ضخمة كجماعة الرجال ، وكن عاريات الصدور والظهور ، وقليل منهن

كن يتخذن القراطق قد انفرجت عن صدورهن انقراجاً
 واسعاً رأيته مخالفاً للحياء لما كان يظهر من أندائهن .
 وكانوا جميعاً رجالاً ونساء قد اتخذوا مناطق شدوها
 شداً عنيفاً على أوساطهم ، فبدت خصورهم غاية في الضالة
 والنحول كأنها المرامل . وكان الرجال سمراً قد اتخذوا في
 أيديهم وسواعدهم وأعناقهم من الخواتم والأساور والعقود
 مثل ما اتخذ النساء . وكانت كثرتهم تمتاز ببياض
 البشرة ؛ وكانت الوجوه كلها حلقة لا يستثنى من
 ذلك إلا وجه الملك ووجه أخيه رادامنت (٤٤) ووجه
 صديقه ديدال (٤٥) . وكان سيدات القصر قد اتخذن
 أماكنهن في المقصورة التي أجلسنا تحتها وقد عرضن زينة
 رائعة مترفة من الثياب والحلى ، وأشرفن على ميدان اللعب .
 وكانت كل واحدة منهن قد أحاطت خصرها بثوب ألحقت
 به قطع عراض من النسيج ، فهو منتفش في صورة رائعة

مما يلي الخصر ، ثم هو يتدلى في منظر جميل مختلط حتى
 يبلغ الأقدام التي حبست في أحذية من الجلد الأبيض ،
 وكانت الملكة في وسط المقصورة تمتاز منهن جميعاً بزينة
 الفخمة . قد عرى صدرها وذراعاها . وقد فصلت على
 ثديها العظيمين ضروب الجوهر من اللؤلؤ والمينا
 والأحجار النفيسة . وقد أحيط وجهها بخصل طويلة
 سود ، ورصفت على جبهتها خصيلات دقاق . وكانت
 شرفة الشفتين ، منقبضة الأنف ، كبيرة العينين فارغتهما
 ترسل منهما نظرات توشك أن تشبه نظرات الصوار . وقد
 اتخذت شيئاً يشبه أن يكون تاجاً من الذهب لم تضعه
 على شعرها مباشرة ، وإنما وضعته على قلنسوة قائمة غريبة
 تثير الضحك ، وهي تنفذ من التاج وتنتهى بطرف مرتفع
 محدد ينعطف إلى الأمام كأنه القرن قد انحنى على جبهتها .
 وكان قرطها المفتوح من امام إلى منطقة يرقى على

ظهرها حتى يبلغ العنق ، فيحاول أن يحيطه ببنيقة شديدة
 الانفراج . وكان ثوبها النصفى المنتشر من حولها يعرض
 للإعجاب على بياضه المشرب بالصفرة ضروباً من الطراز
 بعضها دون بعض ، منها ما يصور السوسن الأرجواني ،
 ومنها ما يصور الزعفران ، وأسفلها يصور زهرات
 البنفسج وقد أحاطت بها أوراقها الخضراء . ولما كنت
 تحت مقصورتها كنت أراها من قريب جداً كلما التفتت
 إلى وراء . وكنت أفتن بحسن اختيار الألوان وجمال
 الطراز ودقة العمل وبلوغه حد الكمال .

وكانت أريان^(٤٦) ابنتها الكبرى قد جلست عن يمين
 أمها مشرفة على اللعب ، وقد اتخذت زينة أقل فخامة من
 زينة الملكة ، واتخذت ثوبها من لون آخر ؛ فلم يكن
 ثوبها النصفى ولا ثوب أختها يحملان إلا صفتين من الطراز
 فأما الصنف الأعلى فكان يرسم كلاباً ومهاً ، وأما الصنف

الأسفل فكان يرسم كلاباً وحجلاً. أما فيدر^(٣٧) فكان واضحاً أنها أصغر من أختها سنّاً، وقد جلست عن يسار أمها باسيفاييه ورسم الصف الأعلى من طراز ثوبها أطفالاً يعدون وراء الأطواق، كما رسم الصف الأسفل أطفالاً صغاراً قد انحنوا يلعبون بالحصباء. وكانت تنعم بمنظر اللعب في طفولة ظاهرة. وكنت أنا لا أتبع اللعب إلا قليلاً، قد أخرجني عن طورى كل هذه الأشياء التى لا عهد لى بمثلها. ولكنى كنت شديد الدهش بما كنت أرى من مرونة اللاعبين ورشاقتهم وسرعتهم حين كانوا يغامرون بالظهور على الميدان بعد أن تتركه لهم جماعات الغناء والرقص والصراع. وإذ كنت أتهيأ لمواجهة المينوتور فقد كنت حريصاً على أن أنتفع بما كنت أرى من مكرهم وتسألهم لعلى أستعين بشئ من ذلك على إجهاد الثور وإذها.

ولما قدمت أريان الجائزة لآخر الفائزين نهض مينوس
مؤذنا بانتهاء الحفل ، ودعاني وحيدا للقائه وقد وقف
يحيط به الحرس .

فلما صرت بين يديه قال لى :

— سأقودك أيها الأمير ثيسوس الآن إلى ساحل
البحر وأمتحنك هناك لنتبين أنك فى الحق من ولد
پوسيدون .

ثم قادنى إلى صخرة ترتفع متقدمة إلى البحر ويلطم
الموج أسفلها . وقال لى :

— سألتى تاجى فى البحر لايبين لك أنى واثق بأنك
سترده إلى .

وكانت الملكة والاميرتان قد رغبتا فى شهود
الامتحان ، فشجعتنى ذلك واندفعت أقول معترضا :
— أكلب أنا لأرد شيئا إلى صاحبه ، وإن كان هذا
الشيء تاجا ! دعنى أغص فى البحر لغير غاية ، ولك أن آتيك
بما يدلك على أنى قد أحسنت الغوص .

ودفعت الجراءة إلى أبعد من هذا . فقد مرت نسمة
قوية بعض الشيء ، فتزعت عن كتف الأميرة أريان طرحة
وحملتها نحوى ، فلم ألبث أن التفتتها مبتسما كأن الأميرة
أولئها من الآلهة قد قدمها إلى . ثم خرجت من الصدارة
التي كانت تشل حركتى وأحطت خصرى بهذه الطرحة ممرًا
طرفها بين نخذى ، ثم آخذًا له إلى أمام حتى أثبتته عند
الخصر ، أخيل بذلك أن الحياء هو الذى يدفعنى إلى هذا

الصنيع لأستر من جسمي مالا ينبغي أن يرى ، ولكني في حقيقة الأمر إنما أردت أن أخفي منطقة من الجلد كنت قد استبقيتها ، وكنت قد علقت بهذه المنطقة كيسا صغيراً من الجلد . ولم أكن قد أحرزت في هذا الكيس شيئاً من النقد ، وإنما أحرزت فيه طائفة من الأحجار الكريمة اصطحبتها من بلاد اليونان ثقة مني بأن الأحجار الكريمة تحتفظ بقيمتها في كل مكان .

ثم تنفست تنفساً عميقاً ، واندفعت إلى البحر فغصت فيه . غصت فيه ممعناً في الغوص وكنت في ذلك ماهاً ، ثم لم أطفُ على سطح الماء إلا بعد أن استخرجت من الكيس ثلاثة أحجار من نفيس الجوهر أحدها من عقيق الجزع والآخران من العقيق الأخضر ، فلما بلغت الساحل قدمت في ظرف إلى الملكة عقيق الجزع وإلى كل من الأميرتين حجراً آخر ، مظهراً أنني قد استخرجتها من

القاع ، بل مظهراً أن يوسيدون قد قدمها إلى لآهديها إلى هؤلاء السيدات . ولم يكن بد من هذه الحيلة ؛ فلم يكن من السائع أن توجد في أعماق البحر عند جزيرة أقریطش هذه الأحجار النادرة في بلادنا ، فضلاً عن أن أجد الوقت لتخيرها تحت الماء . وكان هذا أدلّ من الامتحان نفسه على أنى من نسل إلهى .

هنالك رد مينوس إلى سيفى .
ثم حملتنا العربات بعد قليل إلى كنوسوس .

وكنت مجهوداً قد بلغ بي الإعياء أقصاه ، حتى لم
 أدهش لهذا الفناء العظيم المنبسط أمام القصر ولهذا السلم
 الضخم ذى العمدة الدقاق ، وهذه الدهاليز الملتوية التي
 كان يقودني فيها خدم خفاف يسعون بين يديّ بالمشاعل
 حتى انتهوا بي إلى الغرفة التي هيئت لي في الطابق الثاني
 والتي كانت تضيئها جماعة من المصابيح . فلم أكُ أدخلها
 حتى أطفئت كلها إلا واحداً . وعلى مضجع وثير عطر
 غرقت منذ تركوني في نوم عميق حتى كان المساء من غد ،

ومع ذلك فقد نمت في العربة نوما طويلا ، فلم نصل إلى
كنوسوس إلا حين أسفر الصبح ، وبعد سفر أنفقنا فيه
الليل كله . ولست آلف العربة ، فلم ألبث أن لاحظت في
قصر مينوس أنى يونانى وأحسست انى غريب . وكنت أدهش
لكل ما ليس لى به عهد من الأزياء والعادات ، وما يتخذ
الناس في سيرتهم من الصور والحركات والآثا (وكان
الآثا في قصر أبى قليلا ضئيلا) كما كنت أدهش للأدوات
وطرق استعمالها . كنت أرى نفسى متوحشا بين هذا
الترف الرقيق ، وكان خطئى يزداد كلما دما إلى الابتسام ،
وقد كنت متعودا أن أتناول الطعام بغير أداة ، أحمله إلى
فى بأصابعى ، وكنت أجدهذه الشوك المعدنية أو الذهبية
المنقوشة وهذه السكاكين أثقل تصريفاً علىّ حين أجلس
إلى المائدة من السلاح حين كنت أصرفه فى الميدان .
وكانت النظرات توجه إلى وتثبت فىّ ، وكنت أمعن فى

الخطأ حين كنت أشارك في الحديث . يا لالهة ! لقد كنت أجد نفسي في غير موضعي . وأنا الذي لم يحسن قط شيئاً إلا أثناء الوحدة ، أصبحت أراني أشارك في حياة اجتماعية . ولم يكن المهم أن أجاهد وأن أتخذ القوة وسيلة إلى الفوز ، وإنما كان المهم أن أعجب ، وكنت قليل العلم بوسائل ذلك إلى حد بعيد .

وقد أجلسنا إلى مائدة العشاء بين الأميرتين ، وكان العشاء فيما قيل بسيطاً ، عشاء أسرة لا تكلف فيه . والواقع أن أحداً لم يشهده إلا الملك والملكة ، ورادامانت أخو الملك والأميرتان وأخوهما الصبي جالوكوس^(٤٨) ومربيه اليوناني الكورنثي الذي لم يُعن أحد بتقديمه إلى .

وقد دعيت إلى أن أقص في لغتي (التي كان أهل القصر يفهمونها ويتكلمونها على أحسن وجه مع شيء قليل من

انحراف اللسان) ما كان يسمى حسن بلائى . وقد سرنى
أن رأيت الأميرة الفتاة فيدر وأخاها جلوكوس يضحكان
حين كنت أقص تمثيل بروكروست بضحاياه وإخضاعى
إياه لنفس المثلة حين كنت أقطع من أطرافه ما كان
يتجاوز مضجعه . ولكنهم تجنبوا من شىء من الرقة أن
يشيروا إلى المهمة التى جاءت بى إلى أقریطش ، ولم ينظروا
إلىّ إلا على أنى مسافر ضيف .

ولم تنقطع أريان طوال العشاء عن مداعبة ركبتى
بركبتها تحت غطاء المائدة ، ولكن الحرارة التى كانت
تنبعث من فيدر الفتاة هى التى كانت تشيع فى القلق ،
على حين كانت باسيفاييه الملكة جالسة أمامى تزدردنى
بلحظها ازدزاداً ، وكان مينوس إلى جانبها يحتفظ على
ثغره بابتسامة صافية لا تعرف الكدر . أما رادامانت
ذو اللحية الطويلة الشقراء ، فقد كان وحده يظهر شيئاً

من العبوس . وقد انصرف الملك وأخوه عن غرفة المائدة
بعد الصنف الرابع لأنهما كانا مضطرين فيما كانا يقولان إلى
الجلوس للقضاء . ولم أفهم إلا أخيراً معنى ما كانا يريدان .
لم أكن قد برئت بعد من ألم البحر ، وقد أكلت
كثيراً وشربت أكثر مما أكلت ألواناً مختلفة من الحمر
وفنوناً أخرى من الأشربة ، بحيث لم يمض إلا وقت
قصير حتى دارت بى الأرض وأنكرت نفسى ؛ فلم أعود
من قبل أن أشرب غير الماء أو النبيذ المقتول . ولما
كدت أفقد الصواب وكنت محتفظاً بفضل من قوة يمكننى
من النهوض ، استأذنت فى الخروج . هنالك قادتنى الملكة
إلى حمام صغير متصل بمنزلها من القصر . فلما تخففت مما
كان يثقلنى بقاء غزير لحقت بها فى غرفتها فأجلستنى إلى
جانبها على فراش وثير وأخذت تتحدث إلى . قالت :
— أى صديقى الشاب . . . أتأذن فى أن أدعوك

بهذا الدعاء لننتفع مسرعين بهذه اللحظة القصيرة التي يخلو فيها كلانا إلى صاحبه ! لست كما تظن ولست أريد شخصك بريئة على ما أتيح لك من جمال وفتنة .

وعلى إلحاحها في أنها لم تكن تتجه إلا إلى نفسى أو إلى شىء لا أعرفه في أعماق ضميرى ، لم تر بأساً بأن ترفع يدها إلى جبهتى . ثم تدسها من دون صدارتى الجلدية متحسسة عضلات صدرى كأنها تريد أن تثبت من محضرى . قالت :

— لست أجهل ما جاء بك إلى هذه الجزيرة ، وأريد أن أتقى خطأ . فقد أقبلت مزمعاً القتل . أقبلت تريد أن تصارع ابنى . ولست أعلم بماذا حدثت من أمره ، وليس يعنينى أن أعلم . آه لا تصم أذنيك عما يوجه إليك قلبى من دعاء . ليكن المينوتور هو الوحش الذى صور لك أو لا يكن ، فإنه ابنى .

وهنا رأيت من حسن الذوق أن أقول إني أحب
 الوحوش ! ولكنها مضت في حديثها دون أن تسمع لي :
 — افهم عني ! إني أضرع إليك ! إن لي طبيعة
 متصوفة تحب بل لا تحب إلا ما يتصل بالآلهة . والشئ
 الذي يغيظ هو أننا لا نعلم أين يتدبىء الإله ولا
 أين ينتهى . وقد أطلت عشرة قريبتى ليذا ^(٤٩) ومن
 أجلها اتخذ الإله صورة بجمعة . وقد فهم مينوس طمعى
 في أن ألدله وارثاً من أبناء الآلهة . ولكن كيف السبيل
 الى أن نميز ما يبقى من الحيوان فيما يلقي الآلهة أنفسهم في
 الأرحام ؟ وإذا كان قد كتب على أن أندم على خطئى
 — وأنا أشعر بأن تحدثنى إليك على هذا النحو يسلب
 الأمر كل عظمتة — فإني أؤكد لك أى ثيسوس أن
 الأمر كان إلهيًّا حقًّا في اللحظة نفسها . فقد ينبغى أن
 تعلم أن ثورى لم يكن حيواناً عادياً . كان پوسيدون قد

قدمه إلينا . كان يجب أن نرده إليه قرباناً ، ولكن مينوس
 رآه أجمل وأروع من أن يضحى به . وهذا هو الذى
 حملنى فيما بعد على أن أفسر زلتى بأنها كانت انتقاماً من
 الإله . وأنت لاتجهل أن حماى أوروبا^(٥٠) قد اختطفها
 ثور تقمصه ذوس . ومن زواجهما بهذا الثور ولد مينوس
 نفسه . وهذا هو الذى حمل أسرته على أن تعظم أمر
 الثيرة . فلما ولد المينوتور ورأيت الملك يقطب حاجبيه
 لم يكن لى إلا أن أقول له : وأمك ما خطبها ؟ وكان من
 الحق عليه أن يفهم أن من الممكن أن أكون قد أخطأت
 وهو رجل حكيم ، وهو يعتقد أن ذوس قد ولاه مع أخيه
 رادامانت القضاء فى دار الموتى . وهو يرى أن من الحق
 أن يفهم الإنسان قبل أن يقضى ويقدر أنه لن يكون
 قاضياً عدلاً إلا بعد أن يمتحن فى نفسه أو فى أسرته بكل
 ألوان المحن . وفى هذا تشجيع عظيم لذوى قرابته ،

فأبناؤه وأنا، على ما يكون بيننا من اختلاف الأمزجة
والأهواء، نعمل بأغلاطنا الخاصة لنحسن إعداده لمنصبه
المنتظر . والمينوتور نفسه يشارك في ذلك عن غير علم .
ومن أجل ذلك أطلب إليك يا ثيسوس، بل أتوسل إليك
لا في ألا تسوءه بل في أن تصالحه وتتفق معه على نحو
يمحو الخصومة بين اليونان وأقريطش، ويزيل آثارها
المنكرة في البلدين .

كذلك كانت تتحدث معاملة يدها في إلحاح من دون
صدارتي حتى ضقت بذلك أشد الضيق؛ فقد كنت متأثراً
ببخار النبيذ وبهذا العطر الأرج الذي كان يفلت مع
ثديها من قرطقتها المفتوح . قالت :

— لنعد إلى الأمر الإلهي ؛ فقد يجب دائماً
أن نعود إليه . وكيف لا تشعر يا ثيسوس بأن إلهاً قد
تقمصك ؟ ...

وكان مما يزيد نفسى ضيقا أن أريان ذات الجمال الرائع
الفاثن — وإن كنت أوتر أختها الصغرى — كانت قد
واعدتنى باللحظ واللفظ على أن نلتقى فى الحديقة بعد
أن أفيق .

أى حديقة ! ولاى قصر ! يا لها جنة مشوقة قد تعلقت
 بانتظار شىء لا أدرى ما هو . . . تحت ضوء القمر . كان
 ذلك فى شهر مارس ، وكان الربيع قد أخذ يخفق فى دفء
 حلو . ولم أكد ألقى الهواء الطلق حتى انجلى عنى كل ضيق .
 فلست آلف الحياة فى أعماق الدور ، وإنما أوثر أن أتنفس
 ملء رئتى . وقد أسرعت إلى أريان ثم ألصقت فى لهفة
 وعنف شفتيها إلى شفتي حتى كدنا نسقط جميعا . قالت :
 — هلم . لا على أن يرانا الرءاون . ولكن ظل
 الضرم أوفق للحديث .

ثم هبطت بي درجات وقادتني إلى مكان من الحديقة
يشتد فيه التفاف الشجر حتى يخفى القمر دون أن يخفى
الانعكاس ضوئه على البحر ، وكانت قد استبدلت من ثوبها
النصفى ذى الأطواق ومن منطقتها الصلبة ثوباً واسعاً
فضفاضاً كانت تُحس من دونه عارية . قالت :

— أ كاد أعرف ما تحدثت إليك به أُمى . إنها
مجنونة . مجنونة تستحق القيد ، وما ينبغي أن تحفل بما
تقول . فاعلم أولاً أنك معرض هنا لخطر عظيم . فأنا أعلم
أنك أقبلت لتصارع المينتور أخى لأمى ، وإنما أريد
منفعتك ، فأحسن الإصغاء إلى . وأنا واثقة بأنك
ستظهر عليه ،

فراك يثبت أن فو زك واقع لاشك فيه

ألست ترى أن هذه الجملة تزن بيتاً جميلاً من

الشعر؟ الست رقيق الحس؟ ولكن أحداً قبلك لم يستطع الخروج من اللابيرنت^(٥١) داره التى يسكنها ولن تستطيع أنت أن تخرج من هذه الدار إلا أن أعينك أنا ، أنا خليلتك ، أنا التى ستصبح خليلتك . ليس من اليسير أن ترسم لنفسك صورة مقاربة للآبيرنت . سأقدمك إذا كان الغد إلى ديدال وسيصفها لك . فهو الذى بناها وهو نفسه لا يستطيع الآن أن يهتدى فيها إلى طريقه . وسينبئك كيف ضل فيها ابنه إيكار^(٥٢) حتى لم يستطع أن ينجو منها إلا طائراً فى الهواء بجناحين . ولكنى لا أجرؤ على أن أشير عليك بالطيران فإنه مغامرة خطيرة . والشئ الذى يجب أن تفهمه منذ الآن هو أن أملك الوحيد فى النجاة رهين بالآ تتركى . لقد توثقت بينك وبينى منذ الآن صلة لا تنفصم ولا ينبغي أن تنفصم بحياة أو موت . لن تجد نفسك إلا بمعونتي إلا نى ،

إلا في . هذا شيء يجب أن تأخذه أو تدعه ليس لك
من دون ذلك خيار ، فإذا تركتني فالويل لك . وإذن
فهيت لك .

ثم أقبلت على غير حافلة بشيء واستسلمت لي محتفظة
بي بين ذراعيها حتى أسفر الصبح .

ويجب أن أعترف بأن وقت هذا اللهو قد طال على .
فلم أحب قط الإقامة حتى في ظلال النعيم ، وإنما أنا
مشغوف بالتنقل متى ذهبت عنى جدة ما ألقى من الأمر .
ثم جعلت تقول : « لقد وعدتني » . ولم أكن قد وعدت
بشيء ، وإنما كنت حريصا على أن أستبق حريتي فلست
مدينا بنفسى إلا لنفسى .

ومع أن قوتي على الملاحظة كانت لا تزال مغشاة
ببخار السكر ، فقد خيل إلى أنها استسلمت في يسر حتى لم
أعتقد أنني كنت السابق إلى رضاها . وهذه الملاحظة هي

التي طوّعت لي فيما بعد أن أتخلص من أريان . وفوق ذلك فما أسرع ما ضقت بإسرافها في تكلف الرقة ! ضقت بإلحاحها في تأكيد حبها الأبدى ، وبهذه الأسماء الحلوة التي كانت تدعوني بها . فقد كنت مرة متاعها الوحيد ، ومرة كنسارها ، ومرة كليتها ومرة صقيرها ومرة قصيصتها . ولست أبغض شيئاً كما أبغض هذه الألفاظ المصغرة . ثم إنها كانت مشغوفة بالأدب . فقد كانت تقول لي : « أي قلبي الصغير ، سيدبل زهر السوسن عما قريب . » على حين أن هذا الزهر كان قد بدأ يتفتح . وأنا أعلم أن كل شيء يمتضى ، ولكنني لا أحفل إلا بالساعة الحاضرة . وكانت تقول لي أيضاً : « لن أستطيع أن أعيش بدونك . » وكان هذا يدفعني على ألا أفكر إلا في أن أعيش بدونها . وقد سألتها :

— ما عسى أن يقول أبوك الملك إن عرف هذا ؟

فأجابت :

— تعلم أيها الحبيب أن مينوس يحتمل كل شيء ، فهو يرى أن أحكم الحكمة أن يقبل الإنسان ما لا يستطيع له ردا . لم ينكر شيئا حين عرف مغامرة أمي مع الثور ، وإنما زعم — كما حدثتني أمي — أنه لا يستطيع أن يمضي في محاورتها . ثم أضاف : « قد كان ما كان ، وليس إلى استدراكه من سبيل . » وسيقول هذا القول نفسه بالقياس إلينا . وأقصى ما في الأمر أن يطردك من قصره . وأي بأس بهذا سأتبعك حيثما تكون .

وكنتم أقول في نفسي : سنرى !

وبعد أن أخذنا بحظنا من طعام يسير ، سألتها أن تصحبني إلى ديدال ، وأنبأتها بأنني أريد أن أخلو إليه وأدير معه الحديث ؛ ولم تتركني إلا بعد أن أقسمت لها باسم بوسيدون على أني سألقاها في القصر بعد قليل .

لقد نهض ديدال لاستقباله حين فاجأته في حجرته
المظلمة مقبلا على لويحات من الرصاص أمامه قد انتشرت
من حولها أدوات غريبة . وهو رجل طَوَّال ، لم تنحن
قامته على تقدم سنه ، وهو يحمل حية أطول من حية مينوس
وكانت سوداء ، على حين كانت حية رادامونت شقراء ،
أما حية ديدال فكانت مفضضة . وجهته العريضة تشقها
أخاديد أفقية ، وحاجباه المختلطان يكادان يحجبان نظراته
حين يخفض رأسه . وهو طويل الحديث عميق الصوت .
ويفهم محدثه أنه حين يصمت ، فإنما يفعل ذلك ليفكر .

وقد بدا فأثني على حسن بلائي الذي وصلت أخباره
إليه ، فيما قال ، على اعتزاله وانقطاعه عن الناس . وأضاف
إلى ذلك أني أبدو له أبله بعض الشيء ، وأنه لا يقدر
حسن اصطناع السلاح ولا يرى أن قيمة الإنسان في قوة
ذراعيه . قال :

— وقد رأيت قديماً سلفك هيرقل ، وكان أبله
لا يستطيع أن يعطى شيئاً غير البطولة . وإنما أحببت منه
ما أحب منك هذا الإقدام على غاية في غير تردد
ولا تراجع ، بل هذا التهور الذي يدفعكما إلى أمام
ويظهركما على العدو بعد أن ينصركما على ما في نفوسنا جميعاً
من الجبن . وكان هيرقل أشد منك مثابة وأحرص منك
على الإتيان ، حزيننا بعض الشيء ، ولا سيما بعد أن يتم
عمله . أما ما أحب منك فهو هذا الابتهاج الذي يميزك
من هيرقل . ويعجبني منك أنك لا تريد أن تعوق نفسك

بالتفكير ؛ فالتفكير حظ قوم آخرين لا يعملون ولكنهم
ينشئون للعاملين ما يدفعهم إلى العمل .

أعلم أن بيننا نسبا ، وأنى — لا تُعبدُ ذلك على
مينوس ؛ فهو لا يعرف من ذلك شيئا — أنى يونانى ؟
وقد أسفت حين اضطررت إلى ترك أتيكا فى أثر خصومة
شجرت بينى وبين ابن أخى تالوس^(٥٣) وكان مثالا مثلى
منافسا لى ، وكان قد ظفر بإيثار الشعب لأنه كان يحتفظ
للآلهة بشىء من المهابة الرهيبة ، يتوسل إلى ذلك
بإمساك تماثيلهم بمناطق ضيقة تأخذ أجسامهم من أسفلها
فتمنعهم من الحركة على حين كنت أنا أطلق أعضائهم
فأقربهم منا ، حتى تجدد بفضل ذلك التجاور بين الأولمب
والأرض ، وكنت من جهة أخرى أحاول أن أتخذ العلم
وسيلة إلى أن يصبح الناس أشباها للآلهة .

فقد كنت فى سنك ، حريصا قبل كل شىء على أن

أتعلم ، وما أسرع ما أستيقنت بأن قوة الإنسان لا تغنى
أو لا تكاد تغنى عنه شيئاً إلا إذا أعانتها الآلهة ، وأن
المثل الذى يقول : « إن الأداة أجدى من القوة » لم يكن
مخطئاً . وما كنت لتقهر قطاع الطرق فى البلوونيز أو
فى أتيكا لو لم تعنك على ذلك الأسلحة التى وعدك بها
أبوك . وكذلك فكرت فى أنى لن أغنى شيئاً إذا لم أجد
ما أصطنع من أداة ، وأن سبيل ذلك هو أن أتقن
الحساب والميكانيكا والهندسة ، كما يتقنها المصريون على
الأقل ، فهم ينتفعون بها انتفاعاً عظيماً ، ثم فكرت فى
أنى لن أنتفع بهذه العلوم فى الحياة التطبيقية إلا إذا
تعرفت خصائص الأجسام ومميزاتها ، حتى الأجسام التى
لا يظهر أننا فى حاجة عاجلة إلى استخدامها . فقد
يستكشف فى هذه الأجسام كثير من المزايا لم يكن
نتوهمها من قبل ، شأنها فى ذلك شأن الناس أنفسهم .

وكذلك أخذ حظي من المعرفة يتسع ويقوى .
 ثم أردت أن أعرف منها وصناعات وأقاليم ونباتات
 أخرى ، فزرت بلاداً بعيدة تلمذت فيها لعلماء أجنب ، لم
 أفارق أحداً منهم إلا بعد أن استقصيت ما كان عنده من
 العلم . ولكني بقيت يونانياً حيثما ذهبت وحيثما أقيمت ،
 ومن هنا عنيت بك أيها النسيب لأنك يوناني .

فلما رجعت إلى أقريطش تحدثت إلى مينوس عن
 أسفاري ودراساتي ، ثم أفضيت إليه بشيء كنت أزمعته
 وسألته أن يعينني على تحقيقه ، فيقدم إليّ ما يحتاج إليه
 من مال وأداة ، وهو أن أبني وأنظم إلى جانب قصره
 داراً تشبه اللايرنت الذي رأيته وأعجبت به في مصر على
 شاطئ بحيرة ممرريس^(١) على اختلاف في الرسم . في ذلك
 الوقت كان مينوس محرّجاً فقد ولدت له الملكة هذا
 الوحش الذي يسمى المينوتور ، وكان الملك يود لو

استطاع أن يخفي هذا الكائن الغريب على أعين الناس .
 قمتقدم إلىَّ في أن أقيم له بناء تحيط به حدائق غير
 مسورة ، ولكنه مع ذلك يمسك المينوتور في غير سجن
 دون أن يستطيع الخروج منه ، فأنفقت في ذلك ما كنت
 أملك من عناية ودراية .

وقد قدرت أن ليس هناك سجن يستطيع أن يمتنع
 على رغبة السجين في الفرار ، وأن ليس هناك أسوار ولا
 خنادق تستعصى على الجراءة والعزم ، فرأيت — وأرجو
 أن تحسن الفهم عني — أن الخير أن أقيم البناء وأنظمه
 بحيث لا يكون معجزاً لساكنة عن الهرب بل مانعاً له
 من التفكير في الهرب . فجمعت في هذا البناء ما يستجيب
 لشهوات الإنسان على اختلافها . وليست شهوات
 المينوتور كثيرة ولا شديدة الاختلاف ، ولكن كان على
 أن أفكر في الناس جميعاً وفي كل من يقضى عليه أن

يدخل اللابيرنت . وكان يجب أيضاً بل قبل كل شيء أن
أضعف إرادتهم . ومن أجل ذلك ركبت ألواناً من
العقاقير يمزج فيما يدار عليهم من نبيذ . ولكن هذا
كله لم يكن كافياً ، فوجدت أكثر منه . وكنت قد
لاحظت أن هناك ألواناً من النبات إذا أُلقيت في النار
أثارت وهي تحترق دخاناً مخدراً بعض الشيء ، فرأيت أنها
عظيمة النفع فيما كنت أحاول من الأمر ، وقد استجابت
بالضبط لما دعوتها إليه ، فاتخذت مواقد لا تخمد نارها
في ليل أو نهار وغدوتها بهذه النباتات . والابخرة التي
تصاعد منها لاتنيم الإرادة وحدها ، ولكنها تشيع سكرًا
خلاباً ، وتدفع إلى فنون من الخطأ المغري ، وإلى ضروب
من النشاط الفارغ تصدر عن رؤس قد شملها الذهول
وعبث بها الشراب . ضروب من النشاط الفارغ ، لأنها
لا تنتهي إلى شيء إلا أن يكون وهماً ، ولا تثير إلا

مناظر لا تثبت ، لا تنتهى إلى غاية ولا تعتمد على منطق .
وتأثير هذه الأبحرة ليس متفقاً بالقياس إلى الذين
يخضعون له جميعاً ، وإنما هو يختلف باختلافها وينشأ عنه
اختلاط غريب يجعل لكل واحد لا يبرته الخاص . وقد
كان اختلاط ابني إيكار فلسفياً يرقى إلى ما بعد الطبيعة .
أما أنا فأرى أبنية ضخمة وجمعاً من القصور المتراكمة
تختلط فيها السلام والدهاليز . . . بحيث انتهى هذا كله في
تخليط ابني إلى مأزق تتبعه خطوة غامضة إلى أمام .
ولكن أشد من هذا كله غرابة أن هذه العطور إذا
استنشقتها الإنسان حيناً لم يستطع أن يستغنى عنها ؛ لأن
الجسم والعقل قد اتخذ منها متاعاً لا قيمة بإزائه للحياة
الواقعة ولا رغبة في العودة إليها ، وإنما هو البقاء
والبقاء المتصل في اللابيرنت . ولما كنت أعلم أنك تريد
أن تنفذ إليه لتصارع فيه المينوتور فقد أردت أن أظهر لك

على جليلة الامر . وما اطلت عليك الحديث إلا لا حذرَكَ ؛
فلن تستطيع أن تخرج منه وحدك بل يجب أن
تصحبك أريان . ولكنها يجب أن تبقى على عتبة الدار
بحيث لا تشم هذا الارج . فيجب أن تحتفظ بعقلها
وصوابها في الوقت الذي تخضع أنت فيه للسكر . ولكن
اجتهد في أن تملك أمرك حتى حين يأخذك السكر ، هذا هو
المهم . وقد لا تعينك إرادتك على ذلك ، فقد قلت : إن
هذا الدخان يضعفها ، فقد خطر لي أن أجمع بينك وبين
أريان بخيط يمثل الواجب تمثيلا مُحَسَّسًا . هذا الخيط
يمكنك بل يضطرك إلى أن تعود إليها بعد أن تكون قد
بعدت عنها . واحرص على كل حال على ألا تقطعه مهما
يحط بك من الظروف ، ومهما تلح عليك المغريات ، ومهما
تدفعك إليه شجاعته من مغامرة . عد إليها وإلا ذهب
عنك كل شيء ، بل ذهب عنك الخير كله . سيكون هذا

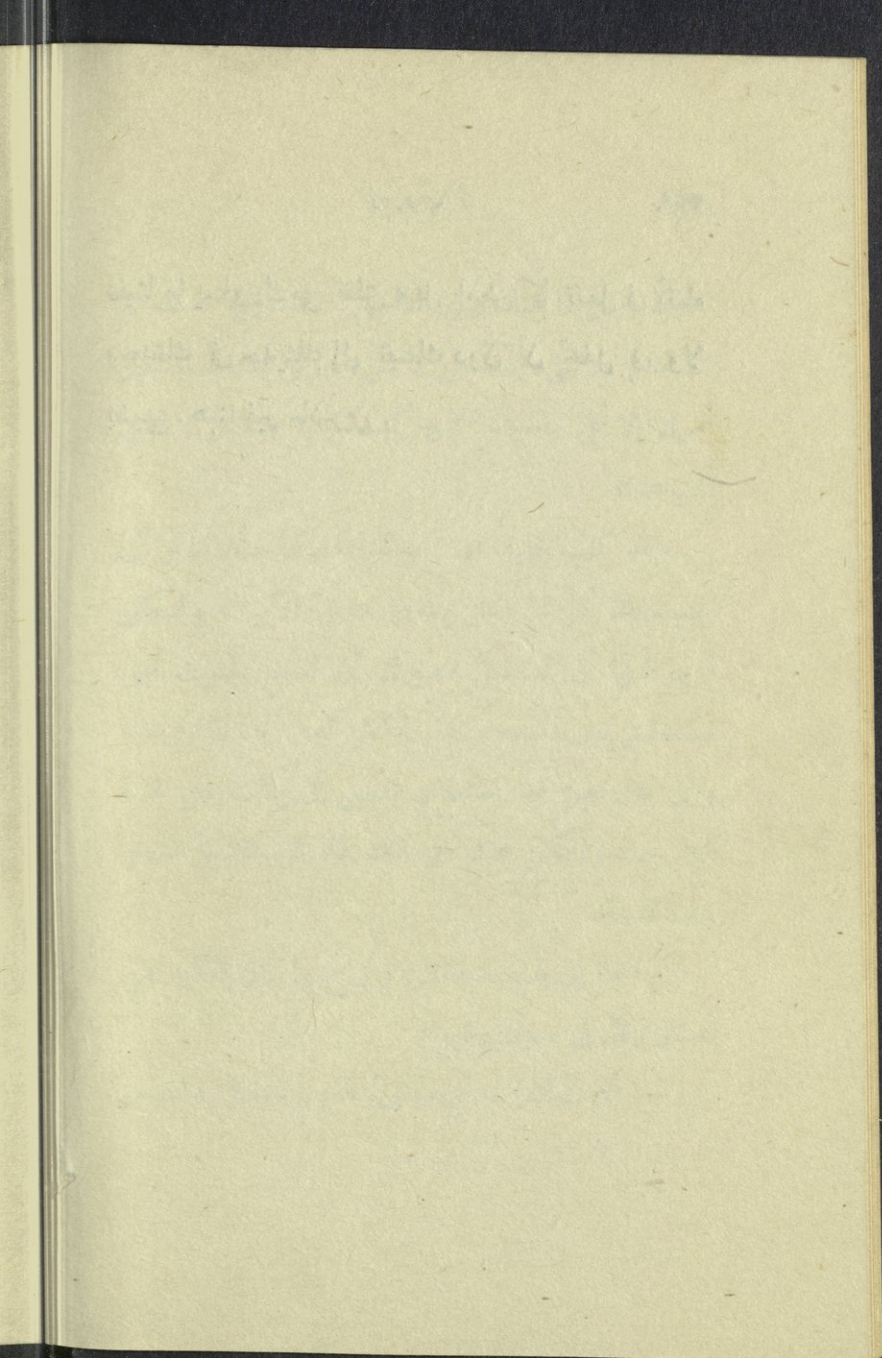
الخيوط وصل ما بينك وبين الماضي . فعد إليه ، عد إلى نفسك . فلا شيء ينشأ من لا شيء ، ولن يعتمد مستقبل أمرك إلا على ماضيك الذي كنت فيه وحاضرك الذي أنت عليه .

وقد كنت خليفاً أن أحدثك أقل مما حدثتك لو أنني عُنييت بك أقل مما اعنى بك في حقيقة الأمر . ولكني أريد قبل أن تستقبل مصيرك أن تسمع لحديث ابني فستحقق حين تسمعه مقدار الخطر الذي أنت مقدم عليه وإن كان هو قد استطاع بفضل أن يفلت من فتنة اللايبرنت ولكن عقله على ذلك قد ظل خاضعاً لسحر هذه الفتنة .

ثم اتجه إلى باب منخفض وأزاح ما كان يغطيه من أستار وقال في صوت رفيع :

— أي إيكار ، أي بُنى العزيز ، أقبل واعرض

علينا ما يساورك من القلق ، بل امض كما تفعل في أثناء
وحدتك في حديثك إلى نفسك دون أن تحفل بي ولا
بضيقي . هبنا غير حاضرين .



رأيت فتى يقبل وهو يوشك أن يكون في سنى وقد
 ظهر في هذا الضوء الضئيل رائع الجمال . وكان شعره
 الأشقر الطويل يتدلى خصلا على كتفيه . وكان لحظه
 الثابت يظهر كأنه لا يقف عند الأشياء . وكان عاريا إلى
 موضع النطاق قد شد حول خصره منطقة ضيقة من
 المعدن . وقد ظهر لي أن إزاراً واسعاً من نسيج أسود
 ومن جلد يأخذ من أعلى وركيه وقد جمع طرفاه بعقدة
 ضخمة . وقد وقفت عيناى على حذاءين من جلد أبيض
 كانا يشيران إلى أنه يتأهب للخروج ، ولكن عقله

وحده كان يسعى ، ولم يكن يظهر عليه أنه يرانا . وكان يقول ماضيا فيما كان يدير عقله من حديث :

— أيهما بدء الوجود : الرجل أم المرأة ؟ أيمكن أن يكون الخالد مؤنثا ؟ أيتها الصور الكثيرة أى أم هائلة أخرجتك من أحشائها ؟ وأى مبدأ والد ألقاك فى هذه الأحشاء ؟ يا لها تثنية غير معقولة ، وإذن فالإله هو الطفل . إن عقلى يرفض أن ينقسم الإله . فإن قبول الانقسام معناه الصراع . كل ما للإله فهو للحرب . ليست هناك آلهة وإنما هو إله واحد . إن تسلط الإله هو السلام ، كل شئ يأوى ويألف فى الإله الواحد .

ثم سكوت حيناً واستأنف قائلاً :

— لا جل أن نحقق الإله يجب على الإنسان أن ينحاز وأن يضيق ؛ فليس الإله إلا متفرقا . إن الآلهة

منقسمون . الإله الواحد لا حد له . الآلهة الكثيرون
مجليون .

ثم عاد إلى الصمت واستأنف الحديث في صوت قلق
ولكن متقطع .

— ولكن ماسر هذا كله أيها الإله الواضح؟ ما أصل
هذا العناء؟ ما أصل هذا الجهد؟ ونحو ماذا؟ ما علة
الوجود؟ وما علة البحث عن علة لكل شيء؟ كيف
نتجه؟ وأين نقف؟ متى نستطيع أن نقول لقد انتهى كل
شيء آمين! كيف الوصول إلى الإله حين نبدأ من
الإنسان؟ وإذا بدأت من الإله فكيف أصل
إلى نفسي؟ ولكن أليس من الممكن أن يكون الإله
من صنع الناس كما أن الناس من صنع الإله؟ في
مفترق الطريق هذا ، في قباب هذا الصليب يريد عقلى
إن يثبت .

وكان وهو يتحدث على هذا النحو يتصبب عرقا وتظهر عروق جبهته متفخخة ، أو ظهر لى ذلك على الأقل ، فلم أكن أستطيع أن أتبينه فى الضوء الضئيل ، ولكنى كنت أسمع يلهث كمن بذل جهداً عظيماً .
ثم سكت لحظة واستأنف قائلاً :

— لست أدرى أين يبدأ الإله وأنا أقل علماً بأين ينتهى ! بل لعل أحسن التعبير عما فى نفسى إن قلت إن بداءته لا تنتهى . آه ! لقد سكرت بإذنٍ وبلثنٍ وبما دام ! وبهذا التخليط والاستنتاج . لن أصل إلى قياس أجمل من الذى وصلت إليه أول الأمر . فإذا كنت قد وضعت فيه الإله فأنى واجده . ولا أجده إلا إن وضعته . لقد جبت طرق المنطق كلها فى اتجاهها الألفى حتى تعبت من الأسفار . إنى لأزحف ، إنى لأريد أن أصعد ، أن أخلص من ظلى ، من مادتى القذرة ، أن أخفف من ثقل

ماضى ، إن أفق السماء ليدعوني . يا للشعر ! ينجيل إلى أن
 نفسا علوياً يجذبني . أى عقل الإنسان : لأصعدن إلى
 حيث تستطيع أن ترقى . إن أبى الخبير فى الرياضة سيهينى
 لى الوسيلة إلى ذلك . سأذهب وحدى . أن لى من الجراء
 ما يمكننى من هذا . سأؤدى الثمن . لا سبيل إلى الخروج
 من هذا . أيها العقل الرائع الذى طال تخطيطه فى المشكلات
 ستندفع فى طريق غير معبدة . لست أدرى ما هذا السحر
 الذى يدعونى ، ولكنى أعلم أن ليست هناك إلا غاية
 واحدة هى الإله .

ثم تركنا راجعا أدراجه حتى بلغ الأستار فأزالها
 واستخفى من دونها وردّها كما كانت . قال ديدال :

— ياله من طفل بأأس عزيز ! لم يكن يدرى كيف
 ينلت من اللابيرنت ؛ لأنه لم يكن يعلم أن اللابيرنت
 إنما هو فى نفسه ، فصنعت له مستجيبا لدعائه جناحين

يتيحان له أن يطير . كان يرى أن لا طريق له إلا السماء
بعد أن أخذت عليه طرق الأرض . وكنت أعرف فيه
نزعة صوفية ، فلم تدهشني رغبته . رغبته لم تبلغ غايتها
كما رأيت ؛ فعلى رغم تحذيري أراد أن يصعد أكثر
مما ينبغي ! أسرف في تقدير قوته فهو إلى البحر . وفيه
لقي الموت . صحت دهشا .

— كيف يكون ذلك ؟ لقد رأيته الآن حيا !

أجاب :

— نعم ! لقد رأيته الآن وخيّل إليك أنه حي ولكنه
قد مات . وهنا أخشى يا ثيسوس ألا يستطيع عقلك ،
على أنه يوناني دقيق متقبل للحقائق كلها ، ألا يتبعني ؛
فأنا نفسي قد احتجت إلى وقت طويل لأفهم ما يأتي
وأطمئن إليه . كل واحد منا لا يحيا حياته الخاصة المقسومة
له إذا تبين أن ميزانه ثقيل حين توزن النفوس . فهو في

حياته الإنسانية ينمو ويتم ما كتب له ثم يموت . ولكن
 الزمن نفسه لا يوجد بالقياس إلى حياة أخرى ، وهي
 الحياة الصحيحة الخالدة التي ترسم فيها كل حركة بمعناها
 الدقيق الذي تدل عليه . فقد كان إيكار قبل أن يولد ،
 وهو الآن بعد أن مات ، صررة القلق الإنسانية والبحث
 والطموح والشعر ، وهو قد تقمص هذا كله أثناء حياته
 القصيرة . أدى مهمته كما كان ينبغي أن يؤديها ، ولكن
 أمره لا يقف عنده وحده ، كذلك شأن الأبطال
 جميعاً ؛ فإن أعمالهم تبقى ثم يتناولها الشعر والفن فتصبح
 رموزاً خالدة . ومن هنا ظل أوريون ^(٥٥) الصائد يتتبع
 في حقول البرواق في دار الموتى تلك الوحوش التي قتلها
 في حياته على حين صارت صورته نجماً في السماء . ومن هنا
 ظل تنتال ^(٥٦) ظمئاً إلى آخر الدهر ؛ وظل سينريف ^(٥٧)
 يرفع نحو القمة التي لا تُنال ، صخرته الثقيلة التي

لا تكاد تبلغ القمة حتى تهوى ، تصور بذلك ذلك الهمة الملح الذي لزم سيزيف حين كان ملكا لكورنت . فقد ينبغي أن تعلم أن ليس في دار الموتى عقوبة إلا استئناف الأعمال التي لم تتم .

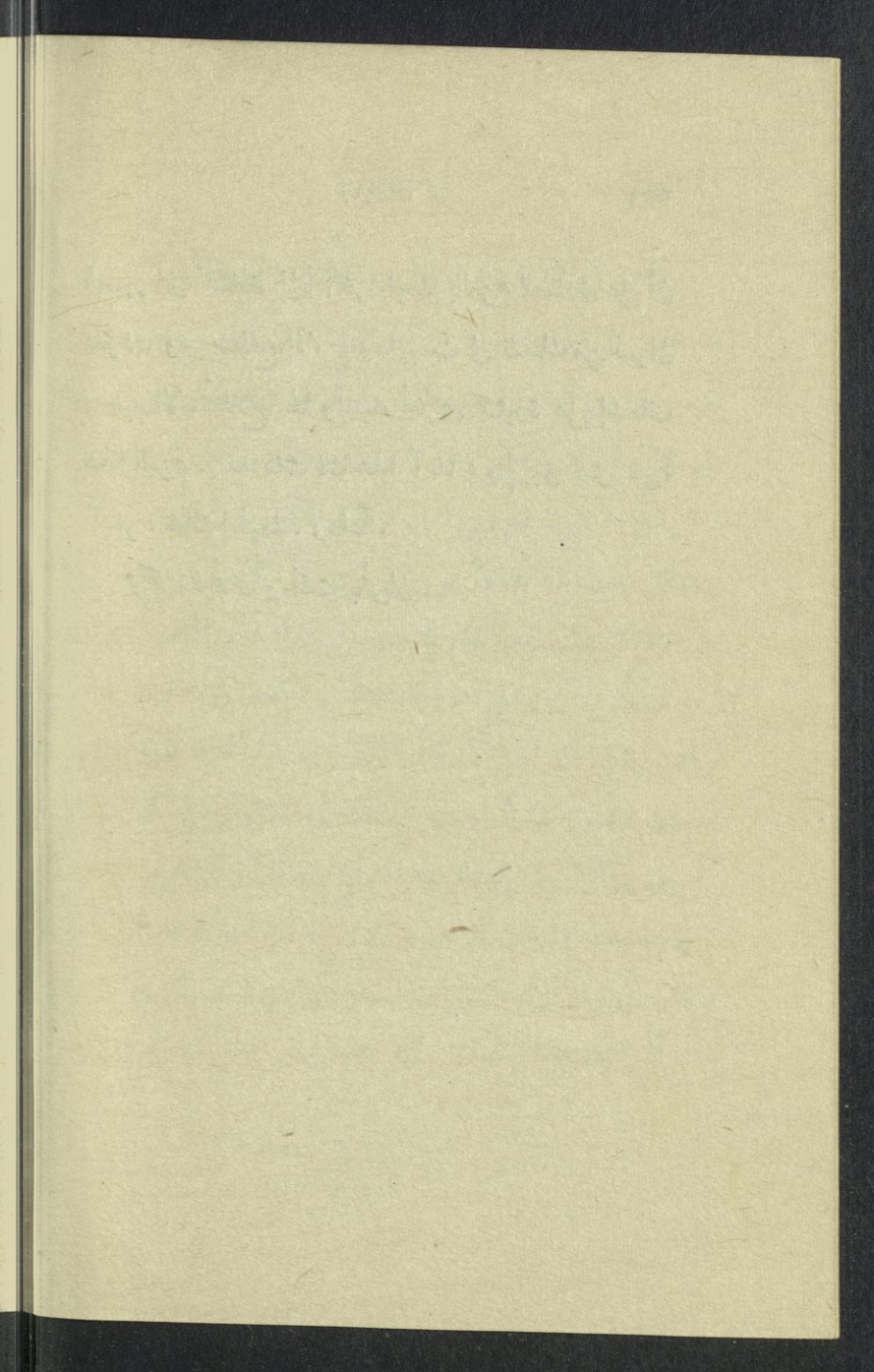
الامر في ذلك كالأمر في أنواع الحيوان كلها ، تموت الأشخاص دون أن يؤثر موتها في بقاء النوع ونموه ، فليس بين الحيوان شخص ، على حين أن الفرد وحده هو صاحب الخطر في النوع الإنساني . ومن هنا تستطيع أن تقول إن مينوس يحيا الآن في مدينته كنوسوس حياة هي مقدمة لحياته القضائية في الدار الآخرة ، كما أن پاسيفاييه وأريان تستجيبان لما كتب عليهما القضاء . وأنت نفسك يا ثيسوس على ما يظهر وما تعتقد من استخفافك بكل شيء ، لن تفلت كما لم يفلت هيرقل وچازون ^(٥٨) وبرسيه ^(٥٩) من هذا القضاء الذي فرض على

كل واحد منكم نفسه ، ورسم له طريقه . ويجب أن تعلم
— فقد أتيج لى أن أستنبط المستقبل من الحاضر — أن
أمامك أعمالاً جليلة يجب أن تتمها ، وهى من نوع آخر
يخالف ما قدمت من عمل فيما مضى . أعمال ستصغر أمامها
ما شرك الذى أتممتها إلى الآن . عليك أن تنشئ أثينا وأن
تقيم فيها سلطان العقل .

فلا تضيع وقتك فى اللايرنت ولا تضيعه بين ذراعى
أريان حين تخرج من اللايرنت ظافراً . امض لطيتك
وانظر الى الكسل على أنه خيانة ، وخذ نفسك بالألتمس
الراحة إلا حين تتم ما كتب عليك وحين تأوى إلى الموت .
وكذلك تستطيع بعد هذا الموت الظاهر أن تستأنف حياة
متصلة متجددة فيما يدين الناس لك به من جميل . امض
لطيتك ، امض أمامك . امض فى طريقك إليها الفتى
الشجاع مجمع المدن .

واسمع لى الآن يا ثيسوس واحفظ ما أقول لك .
ستنتصر على المينوتور فى أكبر الظن دون كثير عناء ؛
فليس هو من البأس بحيث يقال . لقد قيل إنه يعيش على
لحم الإنسان ، ولكن متى رأيت الثيرة تعيش على شىء
آخر غير ما تنبت المروج ؟ إن دخول اللابيرنت يسير ،
ولكن ليس أشد عسراً من الخروج منه . لا سبيل إلى
أن يجد الإنسان نفسه فيه إلا بعد أن يضل أول الأمر .
ولن تستطيع أن ترجع أدراجك فليس للخطو فيه أثر ،
فيجب إذن أن تصل نفسك بأريان ، بهذا الخيط الذى
أعددت لك منه قدراً حسناً ، فخذ معك وأرسله كلما
تقدمت وكلما انتهت خصلة منه فصلها بخصلة أخرى بحيث
لا ينقطع ، فإذا أردت الرجوع فأدر هذا الخيط قليلاً
قليلاً حتى تبلغ أوله الذى أمسكت به أريان . لست أدري
لماذا ألح إلى هذا الحد ، فكل هذا يسير جداً ، إنما

العسير ان تحتفظ إلى آخر خيط بالعزم الصادق على أن
 تعود . وسيصطلح الأرج وما يبعث في نفسك من نسيان
 وحب الاستطلاع لها وأشياء أخرى كثيرة على إضعاف
 هذا العزم . لقد قلت لك هذا آنفا ، ولم يبق لدى شيء
 آخر . هالك الخيط . وداعاً .
 تركت ديدال ولحقت بأريان .



وهذا الخيط هو الذى أثار أول خصومة بين أريان
وبيني ؛ فقد أرادت أن أدفعه إليها وأن تحتفظ به فى
حجرها زاعمة أن من عمل النساء جمع الخيط وتفريقه ،
وأنها فى ذلك ماهرة صناع ، ولكنها فى حقيقة الأمر
كانت تريد أن تسيطر على مصيرى ، وهذا هو الشيء
الذى لم أكن أرضاه مهما تكن الظروف . وكنت أقدر
أيضاً أنها ستحرص على استبقائى فلا ترسل الخيط إلا فى
بطء ، وقد تشده إليها إن أرادت فتحول بينى وبين
المضى إلى غايى كما أريد . وقد أصررت على الامتناع رغم

سلاحها الآخر وهو الدموع ؛ لأنني كنت أعلم أن من شأن النساء إذا نزلت لهن عن أيسر الأمر ألا يرضين إلا بأكثره . أسلم لهن الأصبع الصغير فستتبعها اليد ثم الذراع ثم سائر الجسم .

ولم يكن هذا الخيط متخذاً من الكتان ولا من الصوف ، وإنما اتخذ ديدال من مادة صلبة لم يستطع سيفي حين جرّبه أن يصنع فيها شيئاً . وقد تركت سيفي عند أريان مصمماً ، رغم ما بينه لي دايدال من أن الأداة تمنح الإنسان قوة إلى قوة ، على أن أصرع المينوتور بقوة ذراعيّ وحدها . فلما بلغت مدخل اللابيرات وهو رواق تزينه الفأس المثناة وهي علامة شائعة في الجزيرة ، ألححت على أريان في أن تلزمه ولا تفارقه ، وقد حرصت على أن تدير الخيط حول معصمي بعقدة زعمت أنها عقدة الزواج ، ثم ألصقت شفتيها بشفتي وقتا

حسبته لن ينقضى . فقد كنت حريصا على أن أتقدم .
 وكان رفاقي الثلاثة عشر من الفتيات والفتيان وفيهم
 بيريتوس قد سبقوني . وقد وجدتهم في الحجرة الأولى وقد
 أذهلهم الأراج . وقد نسيت أن أقول إن ديدال قد أعطاني
 مع الخيط قطعة من النسيج قد غمسها في مادة مضادة لهذا
 الطيب ، وألح عليّ في أن أكم بها في دائما ؛ وأن أريان
 كانت قد استأثرت بهذه القطعة أيضا عند الرواق . وبفضل
 هذه الكمامة استطعت أن أحتفظ بصوابي وإرادتي ،
 ولكنني كنت أختنق شيئا ، فقد تعودت ، كما قلت ،
 ألا أجِد الحياة الكاملة إلا في الهواء الطلق ، فكان هذا
 الهواء المغلق يضايقني بعض الشيء .

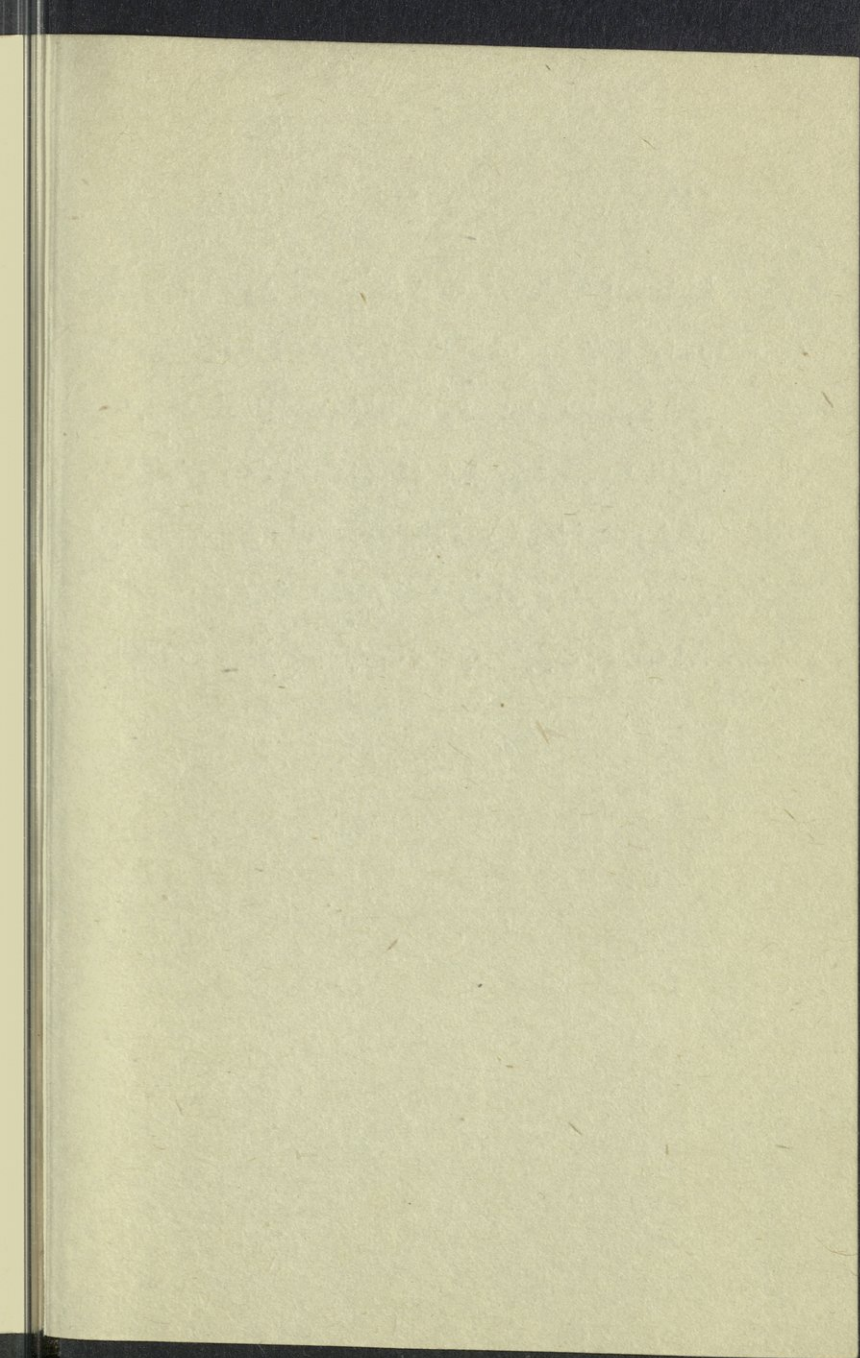
وتقدمت مررلا الخيط حتى بلغت الحجرة الثانية ،
 فإذا هي أشد إظلاما ، ثم بلغت أخرى أشد إظلاما ثم
 انتهيت إلى أخرى لم أكن أتقدم فيها إلا متحسسا ،

ولكن يدي وهي تتبع الحائط لقيت مفتاح باب أدركته
فانفتح لي على ضوء ساطع ، وإذا أنا أبلغ حديقة . و أرى
أمامي على أرض مبسوطة قد نسقت فيها شقائق النعمان
والخزامى والنسرین والقرنفل ، المينوتور مستلقياً
مسترخياً . وكان نائماً من حسن حظي . وكنت خليقاً أن
أعجل وأن أستفيد من نومه ، ولكن هذا النوم نفسه
كان يقفني ، وكان الوحش جميلاً وكان أمره كأمر
السنثور ^(٦٠) قد اجتمعت له والتأمت فيه ملامح من
الإنسان والحيوان ، وكان شاباً ، وكان شبابه يضيف
إلى جماله ظرفاً لم أكن أحققه ، وكان هذا كله سلاحاً أقوى
بالقياس إلى من القوة ، فلم يكن لي بد من أن أستحضر
شجاعتى كلها . فلا سبيل إلى الجهاد المنتج إلا مع شيء
من البغض . ولم أكن أستطيع أن أبغضه ، بل لبثت
وقتاً أمعن النظر إليه ، ولكنه فتح إحدى عينيه

فتميننت أنه أبله ، ورأيت أن قد آن الوقت للإقدام .
ولست أستطيع أن أذكر ما صنعت ولا ما كان على وجه
التحقيق ؛ فقد كانت الكرامة تأخذ على النفس ، ولكنى
مع ذلك لم أفات من تأثير الأرج حتى أصابنى من ذلك
ضعف فى الذاكرة . فاذا كنت قد انتصرت على المينوتور
فإنى لم أحتفظ من ذلك إلا بأثر مختلط لا يخلو من لذة .
ولست أبيع لنفسى أن أخترع ولا أن أتكثر ، ولكنى
أذكر كذلك أن جمال الحديقة كاد يلهينى عن نفسى ، ولم
أخذ فى إدارة الحيط بعد أن انتصرت على المينوتور لأجد
أصحابى فى الحجرة الأولى إلا أسفأ . وقد رأيتهم حول
مائدة قد جمعت عليها ألوان من الطعام لا أدرى كيف
جاءت ولا من جاء بها ، وهم يزدردون ويعبّون ويعبت
بعضهم بأجسام بعض ويضحكون كأنهم المجانين أو البله .
فلما هممت أن أخرجهم أبوا علىّ وأعلنوا إلىّ أنهم راضون

حيث هم ، وأنهم لا يريدون خروجاً . وقد ألححت عليهم
وأنبأتهم أني أحمل إليهم الخلاص وإذا هم يتصايحون :
الخلاص من ماذا ! ثم أخذوا يسبونني ، وقد أحزنني هذا
كثيراً لمكان بيريتوس ، فقد كان يتميزني في مشقة
ويعيب الشجاعة ويسخر من شجاعته هو ، ويعلم في غير
تحفظ أنه لن يفارق لذته الحاضرة في سبيل المجد مهما يكن .
ولم أكن أستطيع أن ألومه ؛ فقد كنت أعلم أني لولا
احتياط ديدال لتورطت في مثل ما تورطوا فيه . ولم
أستطع أن أخرجهم إلا حين اضطنعت معهم العنف ،
وأعملت فيهم الوكز واللكز . وقد كانوا مثقلين بكثرة
ما أكلوا وشربوا وسكروا ، فلم يستطيعوا أن يقاوموا .
فلما خرجوا من اللابيرنت احتاجوا إلى وقت أي وقت
وجهد أي جهد ليستردوا صوابهم ويثوبوا إلى أنفسهم .
على أنهم لم يفعلوا ذلك إلا محزونين . وقد حدثوني فيما بعد

أنهم كانوا يرون أنهم يهبطون من قمة عالية يشع عليها
 النعيم إلى قرارة وادٍ ضيق مظلم ضئيل ؛ لأن كل واحد
 منهم قد عاد إلى سجنه الخاص ، وهو شخصه المحدود الذي
 لا إفلات منه . ومع ذلك فقد جعل بيريتوس بعد قليل
 يحس الندم على هذه الصنعة العابرة التي تورط فيها ، ويؤكد
 أنه سيشتري نفسه أمام نفسه وأمامي بكثير من حسن
 البلاء . وما أسرع ما أتحت له الفرصة ليثبت إخلاصه لي .



لم أكن أخفى عليه شيئاً ؛ فقد كان يعرف وجدى
 بأريان ووجدى عليها . بل لم أكن أخفى عليه أنى كنت
 متيماً بفيدير وإن لم تكن قد تجاوزت الصبا بعد . كانت
 فى ذلك الوقت تكثر من اصطناع أرجوحة قد علقت إلى
 نخلتين ، وكنت إذا رأيتها تترجح على هذا النحو وتعبث
 الريح بثوبها أخذنى شىء يشبه الدوار . ولكنى كنت
 أدير رأسى مسرعاً وأخفى ميلى متحفظاً إذا ظهرت أريان
 أخشى أن تثور غيرة الأخت الكبرى . ومن الشر أن
 يقصر الإنسان فى إرضاء ما يساور نفسه من رغبة ؛

ولكن لم يكن بد من اصطناع الحيلة والمكر لتحقيق ما كان يدور في خلدي من خطف هذه الصبية . هنالك ابتكر بيريتوس وسيلة إلى تحقيق مأربي ، دلت على ما كان يمتاز به من سعة الحيلة . وكانت إقامتنا في الجزيرة تطول وإن لم أكن أفكر كما لم تكن أريان تفكر إلا في السفر ، ولكن الشيء الذي كانت أريان تجهله هو أنني كنت مصمما على ألا أترك الجزيرة إلا ومعى فيدر . وكان بيريتوس يعلم ذلك . وهاك الحيلة التي أعانني بها :

كان أكثر حرية مني ؛ فقد كانت أريان تأخذ على كل طريق ، وكان من أجل ذلك قد استطاع أن يدرس شؤون الجزيرة ويعرف من عاداتها ما كنت أجهل — قال لي ذات صباح :

— أظن أنني قد بلغت الغاية . تعلم أن هذين الحكيمين مينوس ورادامونت قد نظما أخلاق الجزيرة وسيرة

أهلها ، ونظما بنوع خاص شؤون هذا الحب البغيض الذى يعطف أهل الجزيرة على الغلمان كما ترى ذلك فى ثقافتهم ، إلى حد أن كل فتى قد بلغ الحلم ، ولم يكن له خليل من الذين يكبرونه فى السن يتعرض لكثير من الازدراء والضعفة ؛ لأنه إن كان رائع الجمال فيجب أن يكون فيه عيب يتصل بعقله أو جسمه ويصرف عنه الخلان . وقد أفضى إلى جلوكوس أصغر أبناء مينوس والذى يشبه فيدر حتى كأنه ضريبها بما يثير ذلك فى نفسه من هم . وقد حاولت أن أغريه بأن لقب الإمارة الذى يحمله قد أرهب الناس فلم يسم إليه منهم أحد ، فكان يحينى بأن هذا ممكن ، ولكنه محزن له ؛ ويجب أن يعلم الناس أن هذا يحزن مينوس نفسه ؛ لأن مينوس لا يحفل عادة بتفاوت الطبقات ولا باختلاف الدرجات ، ومع ذلك فقد يسره أن يرى أميراً ممتازاً مثلك يُعنى بابنه . وقد قدرت أن

أريان التي تغار من أختها أشد الغيرة لن تغار من أخيها ؛
 فلم ير الناس امرأة تغار من غلام . وعلى كل حال فسترى
 أن من غير اللائق أن تظهر شيئاً من الريبة ، فتستطيع أن
 تقدم في غير خوف .

صحت به :

— وهل تظن أن الخوف يقضى عن شيء ، ولكني
 وإن كنت يونانياً لا أسيغ مثل هذا الحب لغلام مهما
 يكن حظه من الجمال والظرف ، أختلف في ذلك عن
 هيرقل الذي أترك له في غير أسف خليفه هيلاس (٦١) .
 ومهما يكن الشبه بين صاحبك جلوكوس وبين فيدر فإنني
 أريدها هي لا هو .

قال :

— لم تفهم عني ، فلست أقترح عليك أن تستصحب
 جلوكوس مكان فيدر ، وإنما أعرض عليك أن تستصحب

فيدر مكان جلو كوس ، وأن تخدع أريان وتخدع الناس جميعا فتخيل إليهم أنك ستستصحب الفتى . اسمع وافهم عني ، إن من العادات التي أقرها مينوس نفسه في الجزيرة أن يستصحب الخليل فتاه ليعيش معه في داره شهرين كاملين ، ثم يعلن الغلام بعد ذلك إلى الناس أنه راض عن خليله وعن سيرته معه . واستصحبك جلو كوس هذا الموهوم معناه أن تحمله إلى هذه السفينة التي جاءت بنا من بلاد اليونان ، فإذا اجتمعنا في السفينة ومعنا فيدر مستخفية ومعنا أريان التي تحرص على مراقبتنا فأبحر بالسفينة مسرعا حتى تبعد عن الساحل . ولأهل أقريطش سفن كثيرة ولكنها أبطأ جريا من سفننا ، فإذا طلبونا فمن اليسير أن نفوتهم . تحدث في هذا إلى مينوس وثق بأنه سيرضى عنه بشرط أن تقنعه بأنك ستستصحب جلو كوس لا فيدر ، فلن يلح بلخليل مؤدب

لجلوكوس خيرا منك . ولكن قل لى أوافق أنت بأن
فيدر راضية بصحبتك ؟

— لست أدري إلى الآن ؛ فإن أريان مَعْنِيَّةٌ بالأخلاق
أخلاق إلى أختها بحيث لم أستطع أن أؤذيها بذلك . . .
ولكنى واثق بأنها لن تتردد فى صحبتى حين تعلم أنى
أؤثرها على أختها .

وكان يجب قبل كل شئ أن أهيب أريان نفسها لهذه
الخطوة ، فأفضيت إليها بالأمر مخادعا لما دبرنا .

فلم تكذب تسمع لى حتى صاحت :

— يا لها خطوة رائعة ! كم أنا سعيدة بالسفر مع أخى
الصغير . إنك لا تدري إلى أى حد أحبه وأؤثره لظرفه
وخفته . إنا متفقان دائما . وعلى ما بيننا من اختلاف
السن ، فهو أثر الرفاق إلى . ليس شئ أجدر أن يوسع
أفقه ويفتح عقله من إقامة فى بلد أجنبى . سيتقن اليونانية

في أثينا ، وهو يتكلمها على نحو لا بأس به ، ولكنه
يصطنع لهجة أجنبية سيصلحها في وقت قصير ، وستكون
له قدوة صالحة . وددت لو يحرص على أن يشبهك .
وقد كنت أترك هذه البائسة تقول غير عالمة بما كان
يخبأ لها .

وكان من الواجب أيضا أن ننبه جلوكوس لنتقى
كل خطر . وقد نهض پيريتوس بهذه المهمة ، وقد أنبأني
بعد ذلك بأن الفتى أحس شيئا كثيرا من خيبة الأمل ؛
فقد كان يؤثر بالطبع أن يسافر هو ، ولم يكن بد من إثارة
حبه لأخته وعطفه عليها ليقبل الاشتراك في هذا التدبير .
وكان يجب أن ننبه فيدر أيضا ؛ فقد كانت خليقة أن تصيح
إذا اختطفتم قسراً أو مكرأ . ولكن پيريتوس اعتمد
على أن الصبيين سيجدان في هذا التدبير ما يليهما ،
فسيعبث جلوكوس بأبويه ، وستعبث فيدر بأختها .

وإذن فقد دخلت فيدر في الزى المألوف لجلو كوس ،
وكانت قامتها متعادلتين . فلما أخفت شعرها وستر
أسفل وجهها لم يكن من الممكن أن تفتن أريان
للخدعة .

ومن المحقق أنى كنت آلم لاضطرارى إلى خيانة
مينوس الذى بالغ فى الإحسان إلى . وقد تحدث إلى
بما كان ينتظر من الأثر الحسن الذى ستركه صحبتى فى
نفس ابنه وقد كنت ضيفه ، فقد خفرت ذمة مضيئى
ولكنى لم أحفل ، وليس من شأنى أن أحفل ، بهذا التردد
الذى يبقيه وخز الضمير ، وكنت أوتر إرضاء رغباتى على
الاعتراف بالجميل وعلى مراعاة اللياقة ، فكل شئ مباح
ولا بد مما ليس منه بد .

وقد سبقتنا أريان إلى السفينة لتهيئ لنفسها فيها
مكاناً ملائماً . ولم نكن ننتظر إلا فيدر لنسلم سفينتنا

الى الهرب . لم نختطفها حين أغلق الليل كما دبرنا أول الامر ، بل بعد عشاء الأسرة التي حرصت على أن تشارك فيه ، ثم اعتلت بما ألفت من ترك الأسرة في أثر العشاء مقدرة أن أحداً لن يفطن لسفرها قبل أن يشرق النهار . وكذلك مضى كل شيء على ما كنا نهوى ، وكذلك هبطت إلى أتيكا مع فيدر بعد أيام . وبعد إن أنزلت أختها الجميلة المتعبة أريان في جزيرة ناكسوس (٦٢) .

وقد عرفت حين وصلت أرضنا أن إيجيه أبى لم يكذب يرى القلاع السود التي أهملت أن أضع مكانها القلاع البيض كما اتفقنا حتى ألقى نفسه في البحر ؛ وقد أشرت إلى ذلك آنفاً ولست أحب أن أعود إليه . وإنما أضيف أنى رأيت فيما يرى النائم أثناء الليلة الأخيرة أنى أصبحت ملكاً لأتيكا . . . ومهما يكن من شيء فقد كان هذا اليوم ، يوم عيد للشعب ولى ؛ لأننا عدنا فيه سالمين ،

ولأنى ارتقيت إلى العرش ، ويوم حداد لموت أبى . ومن
أجل ذلك أنشأت من الفور حفلات تتبادل فيها الجوقات
أغاني الحزن وأغاني الابتهاج . وحرصت مع أصحابى الذين
نجوا أن نشارك بالرقص فى هذا الحفل . حزن وابتهاج !
كان من الملائم أن نتمسك الشعب على هاتين العاطفتين
المتناقضتين .

وقد لآمنى اللآعون بعء ذلك فى سىرى مع آريان ،
قالوا إنى سرت معها سيرة الجبن ، ولم يكن يجملى بى أن
أدعها ، وأن أدعها فى جزيرة بنوع خاص . سخف ؛ فقد
كنت حريصاً على أن أجعل البحر بينها وبينى ؛ فقد كانت
تتبعنى كما يتتبع الصائد صيده فى إلحاح . ولما استكشفت
ما دبرت من مكر ، وعرفت أختها فى زى جلو كوس نار
نارها ، وجعلت تدفع صيحات موقعة ، ووصفتنى
بالخيانة . فلما أثقلت على واضطرتنى إلى أن أنبئها بأنى
سأنزلها فى أول جزيرة تدفعنا إليها الريح التى أخذت

تثور ، أنذرتني بقصيدة ستنشئها تصور فيها هذا الحجر
 الوضع . أجبته على الفور أنها لن تستطيع أن تصنع خيراً
 من هذه القصيدة التي ستكون رائعة من غير شك إن
 جاز أن أحكم بما كنت أرى من ثورتها ولهجتها الغنائية
 الصادقة ، وستكون هذه القصيدة معزية نسلها عن
 حزنها . ولكن كان كل ما كنت أقول لها يزيد ثورتها
 حدة والتهاباً . وكذلك شأن النساء حين يراد ردهن
 إلى العقل . أما أنا فأسلم نفسي دائماً لغريزة تدفعني
 السداجة إلى أن أثق بها

فقد دفعتنا الريح إلى جزيرة ناكسوس فتركها
 هناك ، وعلمت فيما بعد أن ديونيزوس لحق بها واتخذها
 لنفسه زوجاً . ولعل معنى ذلك أنها تسلت بالخمير . ويقال
 إن الإله قد أهدى إليها يوم الزفاف تاجاً من صنع
 ايفايستوس (٦٣) ، وإن هذا التاج يتلأل الآن بين نجوم

السماء ، وإن ذوس قد استقبأها في الأولمب ووهب لها
الخلود . ويقال إنها شبهت بأفروديت . وقد تركت
هذا كله يشاع ، بل حرصت على أن أسكت الألسنة
المتهمة لى ، فبذات ما استطعت لتأليهما ، واستحدثت لها
عبادة خاصة تكلفت أن أشارك فيها بالرقص . ومن الحق
أنها ما كانت لتظفر بكل هذا الامتياز لو لم تلق منى هذا
الهجران .

وهناك أحداث منحولة غنيت بها الأساطير :
كاختطاف هيلانة ^(٦٤) وهبوط بيريتوس إلى دار الموتى ،
واستحياء روزرين ^(٦٥) . فلم أحاول أن أكذب
ما أشيع حول أريان من مثل هذه الأساطير رغبة في أن
يبعد صوتى ويعظم خطرى . بل لعل أضفت إلى هذه
الأساطير أساطير أخرى لأمسك الشعب على الإيمان ،
وأمنعه من هذا الاستعداد للسخر من كل شىء ، كما يظهر

هذا واضحاً عند أهل أتيكا . فقد يكون من الخير أن يتحرر الشعب ، ولكن بشرط ألا يتخذ السخرية وسيلة إلى هذا التحرر .

والحق أنى منذ عدت إلى أتيكا احتفظت بالوفاء لفيدر . فقد تزوجت من المرأة ومن المدينة جميعاً . كنت زوجاً ، وانتقل إلى الملك من طريق الوراثة . وكنت أقول لنفسى : لقد انتهى عصر المغامرات ؛ فليس المهم الآن أن أفتح ، وإنما المهم أن أملك .

ولم يكن الملك شيئاً يسيراً ؛ فلم تكد أتيكا توجد فى ذلك الوقت ، وإنما كانت أتيكا مجموعة من قرى صغيرة ينافس بعضها بعضاً فى التفوق ، وينشأ عن هذا التنافس ألوان من الخصومات والغارات والصراع الذى لا ينتهى . فكان يجب أن أوجد هذا كله ، وأن أركز السلطان ؛ وهو شئ لم أظفر به إلا بعد مشقة وجهد بذلت فى سبيله القوة والحيلة .

وكان أبى إيجيه يرى أن يثبت سلطانه باستبقا.
 الخلاف بين القرى . وقد لاحظت أن هناة المواطنين
 يضيعها الاختلاف ، وتبينت أن أكثر الشر إنما يأتي
من تفاوت الثروة ، وحرص كل فرد على أن ينمي ثروته .
 ولم أكن أنا حريصا على الثراء ، وإنما كنت معنيا بالمصلحة
 العامة بمقدار عنايتى بمصلحتى ، بل أكثر من عنايتى
 بمصلحتى ، فقد أعطيت القدوة حين أخذت نفسى بحياة
 بسيطة ، ثم قسمت الأرض قسمة عدلا بين المواطنين ،
 فألغيت التنافس والتفوق وما ينشأ عنهما من الآثام .
 وكانت خطة قاسية أرضت الفقراء من غير شك
 وهم كثرة الناس ، ولكنها أسخطت الأغنياء لأنى
 نزعت منهم بعض ما كانوا يملكون . وكان الأغنياء
 قليلين ولكنهم كانوا مهرة . وقد جمعت أجلهم خطرا
 وقلت لهم :

— إني لا احفل بشيء كما أحمل بالقيمة الفردية ،
ولا ألتفت إلى غيرها من المزايا . لقد عرفتكم كيف تثرون
بما لكم من مهارة ودراية بجمع الثروة وتنميتها ، ولكنكم
اتخذتم الجور والبغى سبيلا إلى الثراء في أكثر الأحيان .
والخصومة التي تثور بينكم تعرض الدولة للخطر ، وأنا
أريد أن تكون الدولة قوية بما من مما تكيدون . بهذا
وحده تستطيع أن تنعم وأن تقاوم غارة العدو . إن هذا
الطمع البغيض في المال الذي يغريكم لا يكفل لكم السعادة
لأنه لا يرضى . فكلما اكتسب الإنسان ثمن أن يزداد
كسبه . سأنقص إذن ثروتكم بالقوة (التي أملكها)
إذا لم تدعنوا لهذا راضين ، ولن أحتفظ لنفسى إلا بحماية
القوانين وقيادة الجيش ، فأما ما دون ذلك فلا يعنيني .
وأنا أريد أن أعيش بعد أن وليت الملك كما كنت أعيش
قبل ذلك على حظ من المساواة مع أهون الناس شأنًا .

وسأعرف كيف أفرض احترام القانون وكيف أفرض احترامى إذا لم أفرض خوفى . وأريد أن يقال من حولنا إن أتيكا تدبر أمرها حكومة شعبية لا حكومة طاغية . فكل مواطن سيستمتع بما يستمتع غيره به من الحقوق السياسية ، لا عبرة بما يكون بينهم من اختلاف المولد . فإذا لم تقبلوا ذلك عن رضا فقد أنبأتكم بأننى أستطيع أن أحملكم عليه كرها .

سأهدم بل سأححو من الأرض محاكمكم الصغيرة المحلية ، وسأهدم وأححو من الأرض مجالسكم الإقليمية ، وسأجمع تحت الأكرويل ما أخذ الناس يسمونه أثينا ، وقد وعدت الآلهة الذين سيعينوننى بأن الاجيال المقبلة لن تعظم إلا اسماً واحداً هو اسم أثينا . وسأحرر مدينتى لپلاس^(٦٦) فأما الآن وقد سمعتم فأنصرفوا وأطيعوا .

ثم أضفت العمل إلى القول ، فتزلت عن مظاهر الملك
ودخلت في الصف ، ولم أتهيب أن أظهر للناس جميعا بغير
حرس شأني في ذلك شأن المواطنين جميعا . ولكني
كنت أعنى دائما بالشئون العامة محافظا على الوفاق مقرا
لنظام .

وقد استمع بيريتوس لهذه الخطبة التي ألقيتها على
السادة ، فقال لي إنها خطبة رائعة ، ولكنها سخيفة .
وكان يعلل ذلك بأن المساواة بين الناس ليست طبيعية
بل ليست شيئا يبتغى . فمن العدل أن يتفوق الأخيار على
طعام الناس بما تحوّلهم الفضيلة من امتياز . وهؤلاء
الطعام إذا لم تُثر بينهم التنافس والتزاحم والغيرة ظلوا
هامدين خامدين أشبه شيء بالماء الراكد الآسن ؛ فليس لهم
بد من حافز إلى العمل . فاحذر ألا يدفعهم هذا الحافز
إلى الثورة بك والانتفاض عليك . وسواء أردت أم لم

ترد فإن هذه التسوية الأولى التي تطمح إليها والتي تكفل للناس جميعاً تكافؤ الفرص ليسعوا إلى الحياة من مستوى واحد ، ستنتهى قطعاً إلى الاختلاف والتفاوت ، فتنشأ طبقات تتأثر بما يميز الأفراد به من الكفاية وحسن البلاء ، ستنشأ طبقة العامة الشقية والأرستقراطية السعيدة .

قلت :

— إنى أقدر ذلك وأرجو أن يكون في وقت قريب ، ولكنى لا أدري لم تشقى العامة إذا كانت هذه الأرستقراطية الجديدة التي سأرعاها أرستقراطية العقل لا أرستقراطية المال .

ثم أردت أن يزداد حذر أثينا من الخطر والبأس ، فأعلنت أنها تتلقى في غير تمييز ولا تفريق كل من يقبل عليها ليقم فيها مهما يكن وطنه الأول ، وانطلق الدعاة من حول المدينة يصيحون : « أيها الشعوب ، هلم إلى أثينا » .

وقد ذاع ذلك حتى بلغ أبعد الآماد . أليس هذا هو
الذى حمل أوديب ذلك الملك المخلوع البائس على أن يسعى
إلى أتیکا يلتمس فيها الجوار والحماية ويموت فيها آخر
الأمم ؟ ويتيح لى أن أكسب لهذه الأرض هذه البركة
التي كتبها الآلهة لمثواه الأخير . سأحدث عن هذا
الموضوع بعض الشيء .

وقد ضمنت للقادمين على أثينا نفس الحقوق التي
يستمتع بها المواطنون الأولون ، مؤجلا كل تفرقة إلى
ما يسفر عنه الاختبار . فالاختبار وحده هو الذي يميز
الخيث من الطيب . ولم أرد أن أحكم على أحد قبل أن
أبين بلاءه . بحيث لا أحقق تفرقة بين الآثينيين في الطبقة
والمنزلة إلا لمصلحة النظام العام إذا اقتضت الضرورة
شيئاً من ذلك بعد الاختبار . وكذلك استحق الآثينيون
وحدهم بفضل أنا اسم « الشعب » الذي أطلق عليهم

ولم يطلق إلا عليهم . هذا هو المجد الذى كسبته لنفسى
والذى يربى على كل ما شيدت قديماً من مأثرة ، وهو مجد
لم يبلغه هيرقل ولا جازون ولا بليروفون ولا پرسيه .
ولم يتبعنى مع الأسف بيريتوس زميل الصبا . أما
الابطال الذين سميتهم وأبطال آخرون من أمثال ميلياجر^(٦٧)
وبيليه^(٦٨) فإنهم وقفوا عند مآثرهم الأولى أو مآثرهم
الأولى ولم يستطيعوا أن يتجاوزوها . ولم أرد أنا أن
أقف عند هذه المآثر ، وكنت أقول لپيريتوس : هناك
وقت لتحرير الأرض من الخوف الذى تثيره الوحوش ،
ووقت آخر لاستثمار هذه الأرض المحررة . وقت لتحرير
الناس من الخوف ، ووقت آخر لتمكينهم من الانتفاع
بهذا التحرير وما يتيح لهم من أمن وسعة . ولا سبيل
إلى هذا إلا النظام الدقيق . ولست أقبل أن يقف الرجل
جهوده على نفسه كما يفعل البيوثيون^(٦٩) . ولا أن يجعل

السعادة الخاملة غايته التي يسعى إليها . وكنت أعتقد أن
 الإنسان ليس حرّاً وأنه لن يكون حرّاً ، وليس من
 الخير أن يكونه . ولكنى لا أستطيع أن أدفعه إلى أمام
 دون رضا ، ولا أن أبلغ منه الرضا إلا إذا خيَّلت إلى
 الشعب أنه حر . أردت أن أرتفع به ولم أقبل أن يظل
 راضياً بما قسم له حانياً رأسه من الذل . وكنت أرى أن
 الإنسانية تقدر على أكثر من هذا ، وهى أكرم من أن
 ترضى بهذا . وكنت أذكر ما ألقى إلى ديدال من العلم
 حين كان يزعم أن يورث الناس أسلاب الآلهة . وكانت
 قوتى تأتى من ثقتى بقدرة الإنسان على التقدم .

هنالك تخلف عني بيريتوس ولم يتبعنى ، وكان قد
 رافقنى وأعاننى كثيراً أثناء الشباب ، ولكنى تبينت أن
 استبقاء الصداقة يقفنا عن السعى أو يردنا إلى وراء .
 هناك مواقف لا يستطيع الإنسان أن يتجاوزها

إلا وحيداً . وإذ كان بيريتوس راجح العقل فقد ظلمت
أسمع لأحاديثه دون أن أزيد على ذلك شيئاً . وقد تقدمت
به السن ، فجعل يترك حكمته تستنيم إلى القصد
والاعتدال ، وهو الذي لم يكن يقنع بشيء . فلم تكن
مشورته تهدف إلا إلى التحديد والتقيد في كل شيء .
وكان يقول :

— ليس الإنسان خليقاً أن يشغل به أنفسنا إلى
هذا الحد .

وكنت أجيبه :

— وبماذا تشغل أنفسنا إذا لم تشغلها بالإنسان الذي
لم يقل كلمته الأخيرة بعد ؟
وكان يقول لي أيضاً :

— هوّن عليك . ألم تقدم بين يديك ما يكفي من
العمل ؟ الآن وقد ضمنت الرضاء والدعة لآثينا تستطيع

أَنْ تستريح إلى المجد وإلى سعادة الزوجية .
وكان يلح علىَّ في أَنْ اعنى بفيذر ، ولم يكن
مخطئاً في هذه النصيحة على الأقل . فقد يجب أن أقص
الآن ما أصاب حياتي المترلية من اضطراب ، وهذا
الحداد البغيض الذى أدت به إلى الآلهة ثمن ما أتيح لى
من نجاح وما اتصفت به من مُعجب وتيه .

لقد كانت تثقي بفيذر لا حد لها ، وكنت أراها تزدد
 جمالا وظرفاً على مر الشهور . وكانت حياتها كلها نقاء
 وطهرآ . وكنت قد استنقذتها صبية من بيتها السيئة ؛
 فلم أقدر أنها استبقت من هذه البيئة بعض دواعي الشر .
 وليس من شك في أنها ورثت بعض خصال أمها ، وكان
 اعتذارها فيما بعد بأنها غير مسؤولة ، وبأن القضاء قد
 سخرها لما أراد ، يقوم على بعض الحق . ولكن لم يكن
 هذا كل شيء . وأظن أنها كانت تسرف في ازدراء
 أفروديت . والآلهة ذوو انتقام ، فلم يغن عنها آخر الأمر

إلحاحها في ترضي الإلهة بالقربان والدعاء . فقد كانت فيدر
تقية . كما كانت أسرتها . ولكن كان مما يسوء أن جميع
أعضاء الأسرة لم يكونوا يخلصون لإله بعينه ؛ فقد كانت
باسيفاييه مخلصه لدوس ، وكانت أريان مخلصه لديو نيسوس .
أما أنا فكنت أعبد پلاس أتينييه وأعبد پوسيدون الذي
تجمعني به صلة خفية ، والذي كان قد أخذ نفسه لشقائي
بأن يستجيب لي حتى لم أدعه عبثاً في يوم من الأيام . أما
ابني الذي ولدته لي الأمازون والذي كنت أوثره أشد
الأيثار ، فقد كان يعبد أرتميس إلهة الصيد . وكان عفاً
مثلها بمقدار ما كنت أنا فاجراً في سنه . وكان يتتبع
الأدغال والغابات عارياً تحت ضوء القمر ، ويتجنب القصر
ومجالس الحكم ولقاء النساء خاصة . ولم يكن يرضى عن
نفسه إلا بين كلاب صيده ، يتتبع بهن إلى أعلى قمم الجبال
وفي أسفل الأودية والوهاد هرب الوحوش . وكثيراً

ما كان يروض الخيل الجامعة يجريهن على رمال الساحل
 ليقحمهن أمواج البحر . ما كان أشد حبي له في أطواره
 تلك ! فقد كان رائعاً أليماً متمرداً إلا على الطبع ؛ فقد
 كان يؤثرني بالإكبار والإجلال ، ولكن على الأوضاع
 التي تحد من سلطان الإنسان وتقل من عزمه . لقد كنت
 أريد أن أختصه بولاية عهدي ، وكنت خليفاً أن أنام
 هادئاً مطمئناً بعد أن أسلم أعنة الدولة إلى يديه النقيتين ؛
 فقد كنت أعرف فيه الامتناع على الرغبة والرغبة جميعاً .
 ولم أقدر إلا بعد فوات الوقت أن من الممكن أن
 تصبو إليه نفس فيدر . وكان يجب على أن أقدر ذلك ؛
 فقد كان يشبهني حين كنت في سنه . وقد كانت الشيخوخة
 تسرع إلى على حين كانت فيدر تحتفظ بشباب غريب .
 ولعلمها كانت لا تزال تحبني ولكن كما يحب الآباء . وقد
 تعلمت على حساب نفسي أن ليس من الخير أن تبعد آماد

السن بين الزوجين . ومن أجل ذلك لا ألوم فيدر في هذا الحب الذى لا يخالف قوانين الطبيعة وإن لم يخل من بعض الإثم ، وإنما ألومها ولا أغفر لها أنها حين تبينت ألا سبيل إلى إرضاء هذا الحب اتهمت هيوليت هذا الابن النقي الوفى بشهوتها الآثمة المنكرة . وقد كنت أباً غافلاً ، وزوجاً واثقاً ، فصدقتها . وللمرة الوحيدة التى وثقت فيها بقول امرأة ، ضللت السبيل فاستترلت سخط الإله على ابني البريء . وقد استجاب الإله لدعائى والناس يدعون الآلهة ولكنهم يجهلون أن الآلهة يستجيبون لهم فى أكثر الأحيان فيشقونهم ، وكذلك رأيتنى قد خضعت لإرادة مفاجئة جامحة ضالة فقتلت ابني ، وما زلت لذلك جزءاً لا أجدر سبيلاً إلى العزاء . وقد أحسنت فيدر حين تبينت جريمتها فقضت على نفسها الموت . ولكنى الآن وقد فقدت حتى مودة

پيريتوس أصبحت وحيداً وقد أدركتني الشيوخوخة .
وقد تلقيت أوديب منفياً من وطنه ثيباً قد فقد
عينيه وبدا عليه الضر ، ولكنه على الأقل لم يكن وحيداً
وإنما كان بين ابنتيه يحمل إليه حنانهما ما يخفف من لوعة
أساه . لقد كتب عليه الإخفاق في كل ما حاول ، وكتب
لى النجاح فى كل ما حاولت حتى إن البركة التى قضاها
الآلهة للارض التى تضم جثته بعد موته لم تتح لوطنه
ثيبا ، وإنما أتيت لأثينا .

وإنه ليدهشنى ألا يتحدث الناس إلا قليلا عن التقائنا
فى كولونا (٧٠) ، وعن هذه المواجهة بين مصيرينا فى آخر
الشوط الذى كتب لكل واحد منا أن يقطعه . مع أنى
أنا أرى فى هذا اللقاء ما أثلت لنفسى من مجد ، وتتويجاً
لما قدّمت بين يديّ من عمل . لقد أملت كل شيء ورأيت
كل شيء يميل إلى (إذا استثنيت ديدال ولكنه كان

يكبرني جداً . ومع ذلك فقد خضع لي ديدال ، نفسه .)
 وكنت أرى عند أوديب وحده عزة تلائم عزتي ، ولم
 تكن المحن التي ألمت به إلا لترفع في نفسي مكانة هذا
 المنهزم . لقد انتصرت من غير شك في كل مكان وفي كل
 وقت ، ولكن في مستوى إنساني متواضع إذا قيس إلى
 أوديب . أما هو فقد قهر أبا الهول ، وأقام الإنسان أمام
 اللغز ، واستطاع أن يقفه بازاء الآلهة . وإذن فكيف
 ولماذا قبل الهزيمة ؟ بل ألم يشارك في تحقيق هذه الهزيمة
 حين فقا عينيه ! لقد كان في هذه الجناية التي جناها على
 نفسه شيء لم أكن أستطيع فهمه . وقد أظهرته على ما أجد
 من دهش ، ولكن تعليله لم يكده يقنعي . ذلك شيء يجب
 أن أعترف به ، ولعلني لم أحسن الفهم عنه .

قال لي :

— من الحق أنني أستجبت لثورة جامحة من

الغضب ، لم أكن أستطيع أن أوجهها إلا إلى نفسي ، فعلى من كنت أستطيع أن أثور ؟ لقد رأيت هول هذه التهم المنكرة التي ظهرت لى ، فلم أجد بداً من أن أنكر وأحتج . ومع ذلك فلم أكن أريد أن أفقأ عيني بمقدار ما كنت أريد أن أشق هذا المنظر الذى يملؤه الكذب والذى فقدت الإيمان به والذى كنت أضطرب بين مظاهره ، بل لم أكن أفكر فى شيء وإنما دفعتنى إلى ما عملت . فقأت عينيّ عقاباً لهما على أنهما لم تريا شيئاً كان من الواضح والبداهة بحيث كان خليقاً أن يفقأ عيني ، كما يقال

لست أدري كيف أبين لك عن ذلك فلم يفهم أحد تلك الصيحة التى بعثتها يومئذ : « إلى أيتها الظلمة . أنت ضوئى » . وأشعر أنك أنت أيضاً لا تفهم هذه الصيحة .

لقد سمع الناس من هذه الصيحة شكاة ، مع أنها لم تكن إلا ملاحظة للحقيقة الواقعة . كانت هذه الصيحة تعنى

أن الظلمة قد بددها بالقياس إلى ضوء خارق للطبيعة يغمر
عالم النفوس . وكانت هذه الصيحة تعني : أيتها الظلمة
ستكونين منذ الآن ضوئي . وفي الوقت الذي كانت
الظلمة فيه تحجب عن عيني جمال السماء كانت سماء أخرى
داخلية قد أخذت تتألق فيها النجوم .

ثم سكت ولبت لحظة مغرقاً في تفكير عميق ،
ثم قال :

— لقد كانت تظن بي الفطنة أثناء الشباب . وكنت
أرى نفسي فطناً . ألم أكن أول من أجاب ! بل ألم
أكن الوحيد الذي أجاب على سؤال أبي الهول ! ولكن
يخيل إليّ أني لم آخذ في النظر الصادق الصحيح إلا منذ
فقات عيني بيدي وحلت بينهما وبين الضوء . أجل !
في الوقت الذي يحجب فيه العالم الخارجي عن عيني
إلى آخر الدهر تتاح لضميري نظرة جديدة إلى

عالم داخلى كان العالم الخارجى يشغلنى عنه ويحملنى
على ازدرائه .

وهذا العالم الذى لا يحس والذى لا تستطيع حواسنا
أن تطمع فى بلوغه ، هو فيما أعلم الآن وحده الحق . فأما
ما عداه فوهم يخدعنا ويصدنا عن مشاهدة العالم الإلهى
« يجب أن ننصرف عن رؤية العالم لنرى الإله » . كذلك
كان يقول لى ذات يوم ذلك الحكيم الضرير تير سياس
ولم أكن أفهم عنه حينئذ كما أرى الآن يا ثيسوس أنك
لا تفهم عنى .

قلت :

— لا أحاول أن أنكر خطر هذا العالم الذى
تستكشفه منذ فقدت عينيك ، ولكن الذى لا أفهمه
هو أنك تجعل هذا العالم ضداً معانداً للعالم الذى نراه
ونعيش ونعمل فيه .

أجاب :

— ذلك أن نظرة الضمير هذه أظهرتني لأول مرة على ما لم أكن أرى ، فاقتنعت بهذا الذي ستسمعه .
لقد أقمت ملكي الإنسانى على جريمة فنشأ عن ذلك أن أصبح كل ما أتيت به بعد الملك ملوثاً ، لا بالقياس إلى ماصدر عني أنا من قول أو عمل فحسب ، بل كذلك بالقياس إلى ابنيّ الذين تركت لهما التاج : فقد تركت من انقور ذلك الملك المخزي الذي ساقته إلى الجريمة . وأنت تستطيع أن تعرف إلى أى جريمة جديدة دفع ابنائى وأى قضاء مهين مخز قد ألحّ على كل ما تلد الإنسانية الخاطئة . وليس ابنائى إلا مثلاً صارخاً لهذه المحنة ؛ فهما ثمرة الإثم ، وهما من أجل ذلك أشد ملاءمة لهذه المحنة . ولكن يخيّل إلىّ أن هناك إثمًا مستأصلاً قد شقيت به الإنسانية ولن ينجو من آثاره أحد حتى الأخيار ، إلا

أن تنال الإنسانية رحمة تغسل عنها هذا الوضر .
ثم ماد إلى الصمت لحظات كأنه كان يريد أن يعن في
التفكير إلى أبعد مما بلغ ، ثم قال :

— إنك تدهش لأنى فقأت عيني ، وأنا أيضاً دهش .
ولكن لعل في هذا العمل الأحق القاسى شيئاً آخر هو
هذه الحاجة الخفية إلى أن أدفع حظى إلى غايته ، وأبلغ
بألمى أبعد آماده وأتم بذلك مصيراً من مصائر الإبطال .
ولعلى أحسست في غير وضوح ما فى الألم من جلال وتطهير
للفسوس يكره البطل أن يمتنع عليه . وأعتقد أن هذا هو
الذى يثبت عظمته ، وأنه لا يرقى إلى العظمة حقاً إلا حين
يسقط ضحية ، فيكره بذلك الآلهة على أن يعرفوه ،
وينزع من أيديهم سلاح الانتقام . ومهما يكن من
شئ فإن خطاياى وآثامى مهما تبلغ من الشناعة
والبشاعة ، لا تمنعنى الآن من أن أجد سعادة داخلية

رائعة تكافئ كل مالمقيت من ألم وما شقيت به من بؤس .

قلت حين رأيت أنه أتم حديثه :

— أيها العزيز أوديب ، لا يسعني إلا أن أثني على هذه

الحكمة التي تصطنعها والتي تتجاوز طاقة الإنسان .

ولكن تفكيرى لا يستطيع أن يرافق تفكيرك في هذه

الطريق . فأننا ابن هذه الأرض ، وسأبقى ابنها ، وأرى

أن الإنسان كائناً من يكون ومهما يكن حظه من هذا

الأيام المستأصل الذى تشير إليه ، يجب أن يلعب بالورق

الذى أتيح له في هذه الدنيا . وأكبر الظن أنك قد أحسنت

الانتفاع بما كتب عليك من البؤس . ولعلك قد أمعنت

في ذلك حتى أتيح لك الاتصال بهذا الذى تسميه الإله ،

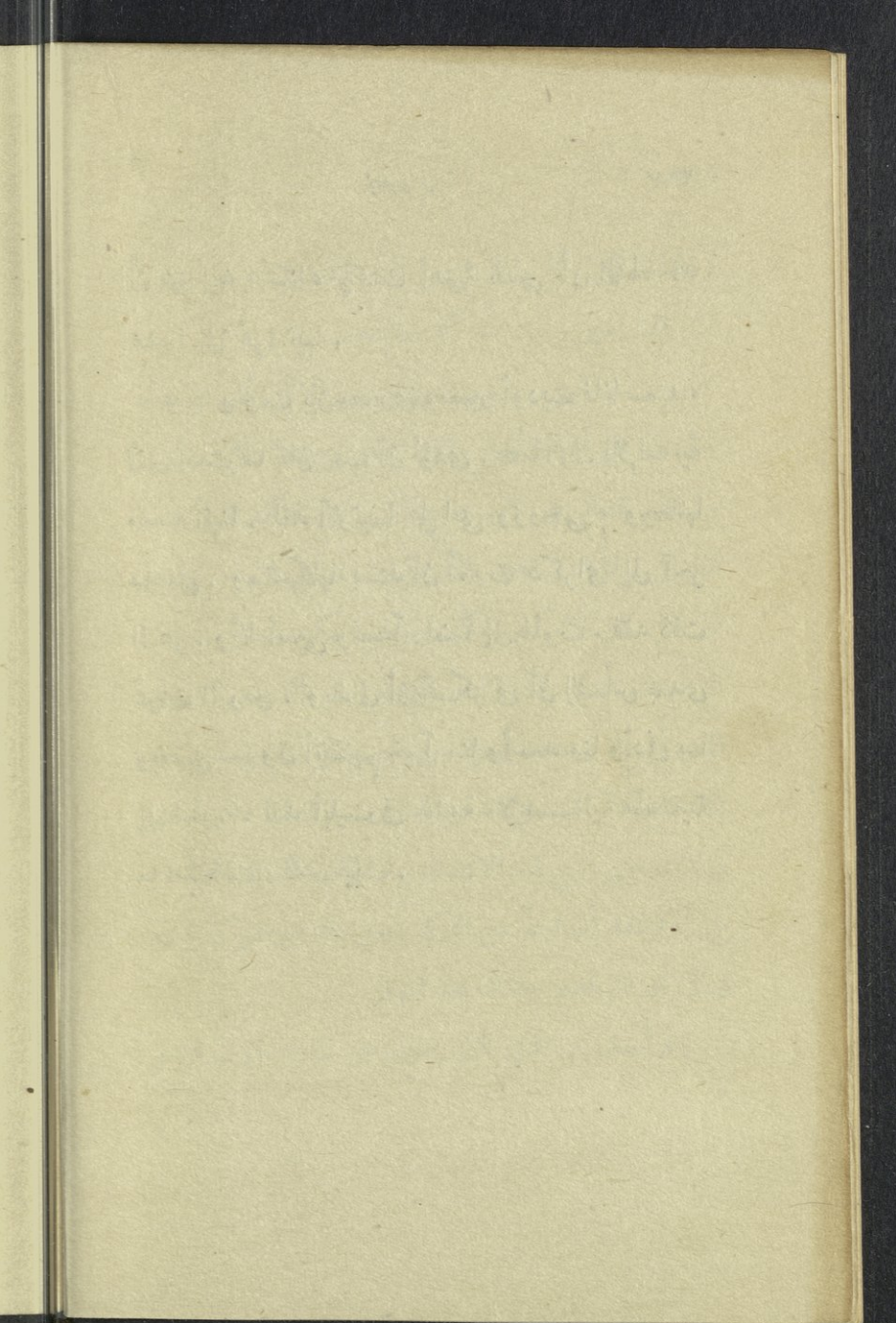
بل أنا أعتقد أن نوعاً من البركة يتصل بك ، ويحل كما يقال

في الأرض التي تضم جثتك بعد الموت .

ولم أضف أن الذى كان يعينى هو أن تكون هذه

الأرض أرض أتيكا، وكنت أهني نفسي بأن الآلهة قد
أهدوا إلي ثمرة ثيبا .

وإذا وازنت بين مصيري ومصير أوديب فأنا سعيد ،
لأنني أديت ما كان يجب أن أؤدي . فأنا أترك للإنسانية
مدينة أثينا . لقد آثرتها على ابني وزوجي ، وجعلتها
مدينتي . وستسكنها بعد أن أموت ذكراي إلى آخر
الدهر . وأنا أسعى وحيداً راضياً إلى الموت . فقد ذقت
ثمرات الأرض . ويلد لي أن أفكر في أن الناس بعدي
وبفضلي سيرون أنفسهم خيراً منا وأسعد منا وأدنى منا
إلى الحرية . لقد أبليت في خدمة الإنسانية المستقبلية
ما استطعت . لقد حييت .



ملحق

(١) ييتو : هو الاسم القديم لدلف أخذ من اسم الشعبان ييتون
الذى قتله أبولون قريبا من المكان الذى أقيم فيه
معبده .

(٢) كدموس : منشى مدينة ثيبا يقال إنه ابن ملك فينيقي عبر
البحر باحثا عن أخته التى اختطفها ذوس . فلما
وصل إلى مكان ثيبا وجد تينا خطرا فقتله ونثر
أسنانه فى الأرض فنشأ منها رجال مسلحون هم بناء
للمدينة وأصل أهلها .

(٣) ليكوس : ملك من ملوك الاساطير كان صديقا لهرقل .

(٤) امفيون : بطل من أبطال اليونان ولد من صلة بين ذوس
وأنتيوب وأهدى إليه أبولون ربابة من ذهب وقد
ملك ثيبا وأقام أسوارها . كان يوقع على ربابته
فتسابق الأحجار إلى أماكنها من هذه الأسوار .

(٥) الپرناس : جبل يونانى قريب من دلف يرمز به إلى الشعر والفن لمكانه من معبد أبولون .

(٦) هيپوليت : ابن ثيسوس من زوجه انتيوب ملكة الامازون .

(٧) پانت : إله يونانى للمراعى والقطعان اخترع المزمار له قرن المعز وأرجله وفى يده محجر .

(٨) ذوس : أبو الآلهة وعظيمهم وملك الآلهة والناس إليه تصريف شؤون الكون كله بقوته القاهرة وحكمته الخفية وهو مع ذلك لا يفلت من سلطان القضاء .

(٩) تيتيس : إلهة من آلهة البحر تزوجت ملكا يونانيا هو بيلييه ، فولدت له أخيل أعظم أبطال اليونان خطراً .

(١٠) پوسيدون : إله البحر وهو أخو دوس وهو خالق الجبل وهو يجمع العواصف ومفرقها .

(١١) إيجيه : ملك أثينا وهو أبو ثيسوس على ما ترى حول
هذه الأبوة من كلام في القصة التي كتبها
أندريه جيد وفي حياة العظماء التي كتبها
بلوتارك .

(١٢) افروديت : هي الزهرة أو فينوس باللاتينية ، وهي إلهة
الجمال والحب نشأت من زبد البحر .

(١٣) اقريطش : جزيرة من جزر البحر الأبيض المتوسط لها
مكاتها الممتازة في الحضارة الايجية التي سبقت
حضارة اليونان .

(١٤) ميديه : ساحرة خطفها جازون من كولشيد - في القوقاز -
فلما تركها أثارها الفيض ، فذبحت بنها ثم
انتهت إلى أثينا فتزوجها ملكها ايجيه وهمت
بأن تسم ابنه ثيسوس فلم تفلح وطردها
الاثينيون .

(١٥) جورجونى : وحوش غريبة مروعة مؤنثة وكن ثلاثا يمسخن
من ينظر إليهن حجرا .

(١٦) بليروفون: بطل من أبطال كورنت أحبته ملكة أرجوس ولم تجد عنده لها صدى. فزعمت لزوجها أنه أراد بها السوء. هنالك كلفه ملك أرجوس مغامرات كثيرة خطيرة خرج منها ظافرا.

(١٧) بيريتيس: قاطع طريق مشهور وهو ابن ايفايستوس.

(١٨) ابيدور: اسم لمدن ثلاث يونانية أشهرها في الجنوب الشرق لليونان قريبا من أرجوس.

(١٩) پروميتوس: مارد سرق النار من الآلهة وأهداها إلى الناس فعلمهم الحضارة، وعاقبه كبير الآلهة على ذلك فشدّه إلى صخرة في القوقاز وسلط عليه نسرا ينهش من كبده التي لا تكاد تفي حتى تتجدد وما زال كذلك حتى أنقذه هيرقل.

(٢٠) بيريتوس: صديق ثيسيوس ورفيقه في مغامراته الكثيرة، هبط معه إلى دار الموتى لانتقاذ بريسفونية فلم يعد.

(٢١) هيرقل : بطل اليونان الأكبر ، ولد من صلة بين كبير الآلهة وبين ألكمين من أهل ثيبا وعرف بمغامراته الاثنتي عشرة وهو الذي أنقذ ثيسوس من دار الموتى حين هبط إليها مع بيريتوس ، أهدت إليه زوجته قبيصا مسموما قدرت أنه سيرده إليها فأذاقه الموت .

(٢٢) أمفال : ملكة ليديا ، شغف بها قلب هيرقل فأذله حتى اتخذ المغزل بين يديها كما تصنع النساء .

(٢٣) انتيوب : ملكة الامازون تزوجها ثيسوس فولدت له ابنة هيوليت .

(٢٤) الامازون : شعب من النساء المحاربات كان يعيش على ساحل البحر الأسود غزاه هيرقل وبليروفون وثيسوس الذي تزوج ملكته .

(٢٥) بيتيه : ملك يوناني قديم كان يعرف بالحكمة وهو جد ثيسوس لأمه .

(٢٦) تريزين : مدينة في الشرق الجنوبي لبلاد اليونان كان يملك عليها بيتيه وفيها ولد حفيده ثيسوس .

(٢٧) ييلوپونيز : هو شبه الجزيرة الذي تنتهي به بلاد اليونان جنوبا ويعرف الآن باسم مورا وهو يتخذ اسمه القديم من ييلوبس الذي فتحه .

(٢٨) سنيس : قاطع طريق مشهور يقال إنه من ولد پوسيدون قتله ثيسوس .

(٢٩) بروكروست : قاطع طريق مشهور في آتيكا قهره ثيسوس .

(٣٠) چيريون : مارد ذو رؤس ثلاثة وأجسام ثلاثة قهره هيرقل وساق قطعانه .

(٣١) سيرسيون : قاطع طريق من ولد پوسيدون قتله ثيسوس .

(٣٢) سيرون : قاطع طريق في برزخ كورنت قتله ثيسوس .

(٣٣) بيريجون : بنت المارد سينيس منحت ثيسوس أحد أبنائه .

(٣٤) ميناليب : هو الابن الذي ولدته بيريجون لثيسوس .

(٣٥) ميتوس : أول ملوك أقريطش وهو زوج باسيفائية وأبو أريان وفيدر . ويقال إن الآلهة اختاروه قاضياً في دار الموتى .

(٣٦) أندروجيه : ابن مينوس ملك أقريطش وزوجه باسيفائية .

(٣٧) المنيوتور : كائن غريب فيه ملامح الانسان والثور ولدت له باسيفائية ملكة أقريطش حين أحبت ثورها الأبيض . وقد قتله ثيسوس .

(٣٨) باسيفائية : زوج مينوس ملك أقريطش أحبت ثوراً أبيض فولدت له المنيوتور الذي حبسه زوجها مينوس في اللايرنت .

(٣٩) أمنيسوس : نثر في جزيرة أقريطش .

(٤٠) كنوسوس : مدينة في أقريطش كانت عاصمة للملك مينوس .

(٤١) ألكيون : طائر خرافي من طير البحر .

(٤٢) ليتوس : مدينة في أقريطش .

(٤٣) جورتين : مدينة في أترىطش .

(٤٤) رادامنت : هو أخو مينوس ملك اقرىطش ، ولد جميعا لدوس من عشيقته الفنية أوروب . وكلاهما كان مشرعا في حياته وقاضيا بعد موته .

(٤٥) ديدال : مهندس ومثال أثيني بنى اللابيرنت لمينوس .

(٤٦) اريان : هي ابنة مينوس وباسيفايية أحببت ثيسوس فأثقتته بنحيطها من اللابيرنت وفرت معه ولكنه تركها في بعض الطريق .

(٤٧) فيدر : هي أخت اريان تزوجها ثيسوس فأحبت ابنه الشاب هيبوليت ولم تجد عنده صدى لحبها ، فاتهمته عند أبيه وكان ذلك سببا لموته . ثم أخذها النديم فقتلت نفسها .

(٤٨) جلوكوس : ابن مينوس وباسيفاييه .

(٤٩) ليدا : زوج تندار ملك اسبرتا أحبها دوس فولدت ابنيها كستور وبولوكس وابنتيها هيلانه التي سببت حرب طروادة وكليتمنستر التي قتلت زوجها أجاممنون .

(٥٠) أوروبا : بنت اچينور ملك فينيقيا أحبها ذوس واختطفها فولدت له مينوس ملك أقریطش وأخاه رادامنت

(٥١) اللابيرنت : قصر بناء ديدال لمينوس ملك أقریطش وفيه كان سجن المنيوتور ومن خصائصه أن من دخله لا يستطيع أن يجد منه مخرجا .

(٥٢) إيكار : ابن ديدال حاول أن يطير بجناحين من ريش وشمع ، فأذابت الشمس جناحيه فهوى ومات .

(٥٣) تالوس : كان قريبا لديدال ومن تلاميذه .

(٥٤) موريس : بحيرة كانت في الفيوم يقال الآن إن بحيرة قارون من بقاياها .

(٥٥) أوريون : مارد هائل كان مولعا بالصيد ودفعه الغرور إلى مباراة إلهة الصيد أرتيميس التي نقت منه فسلطت عليه عقرا لدغته فمات . ثم جعله الآلهة نجما من نجوم السماء .

(٥٦) تتال : ملك من ملوك ليديا أسرف على نفسه في الغرور وسخر من الآلهة ، فقدم إليهم في بعض الولائم لحم ابنه . وقد غضب عليه ذوس فأرسله إلى الجحيم وقضى عليه أن يشتهي دائماً ولا يجد لشهوته شفاء على قرب الشفاء منه . فالتمر في متناول يده ولكنه لا يبلغه ، والماء قريب من شفائه ولكنه لا يذوقه .

(٥٧) سيزيف : بطل من أبطال اليونان أنشأ مدينة كورنت ، وكان حكيماً ماكرًا داهية عاند الآلهة وسخر منهم وقيد الموت حتى ضجج منه الآلهة أنفسهم ، ثم قهروه آخر الأمر وقضوا عليه أن ينفق الدهر كله في دفع صخرة من أسفل الجبل إلى قمته . ولكن صخرته لا تنفك تهوى إلى القاع كلما أوشكت أن تبلغ القمة .

(٥٨) چازون : بطل من أبطال اليونان غامر مع جماعة من أتباعه في طلب الجزة الذهبية وقتل حارسها وهو تين عظيم الشر كان يلفظ النار من فمه .

(٥٩) پرسیه : بطل من أبطال اليونان ولدته دنائيه حين أحبا ذوس وتمثل لها مطرا من ذهب .

(٦٠) سنتور : كائنات غريبة قوية كانت لها ملامح الانسان والفرس وكانت بينها وبين الآلهة والأبطال صلات وخطوب .

(٦١) هيلاس . كان صديقاً شاباً لهرقل رافقه في بعض مغامراته ومات في إحدى هذه المغامرات ، فلم يتعز عنه هرقل .

(٦٢) ناكسوس : جزيرة في بحر ايجيه ترك فيها ثيسيوس صاحبه اريان .

(٦٣) ايفايستوس : إله الحديد والنار وهو ابن ذوس أحفظ أباه ذات يوم فقتل به من أعلى الأولمب إلى الأرض فهو يعرج دائماً .

(٦٤) هيلانة : بنت ذوس ولدتها له ليذا وقد فتن بها أبطال اليونان فخطفها ثيسيوس ثم ردها أخواها ، ولكن باريس خطفها بعد ذلك إلى طرواده . فكانت سبباً في الحرب المشهورة .

(٦٥) پروزرين : بنت ديمتر إلهة الأرض والحصب خطفها كبير آلهة الجحيم واتخذها لنفسه زوجاً .

(٦٦) بلاس : اسم من أسماء آلهة أثينا حامية مدينة أثينا .

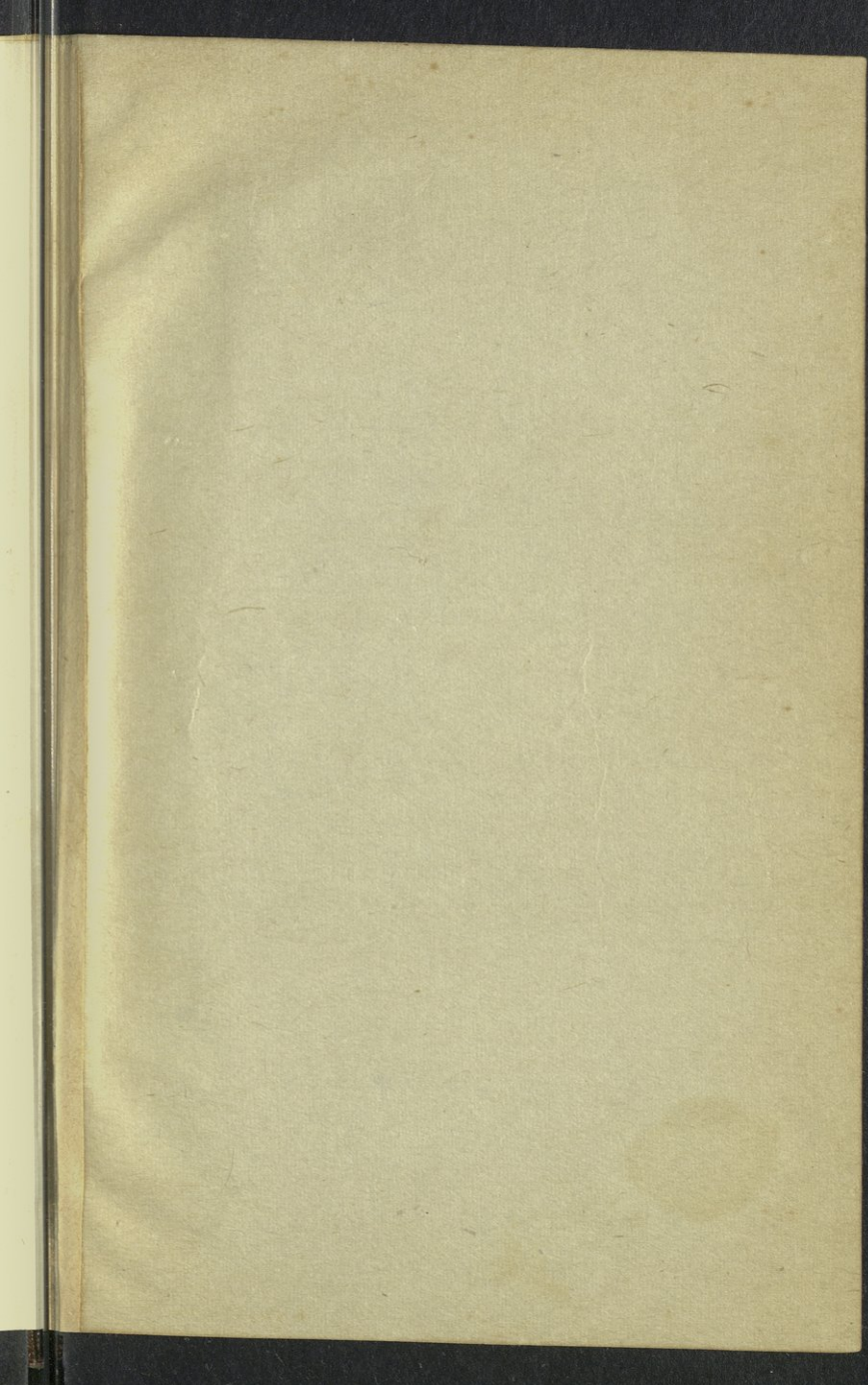
(٦٧) ميلاجر : بطل يوناني علمت أمه أنه سيموت إذا التهمت النار عودا كان في الموقد حين ولادته . فلما ولد أخذت أمه هذا العود فأطفأته واحتفظت به فعاش ابنها حتى شارك في مغامرات كثيرة خطيرة . ولكنه أحفظ أمه حين قتل أخويها فألقت العود في النار ولم يكذب يحترق حتى مات البطل .

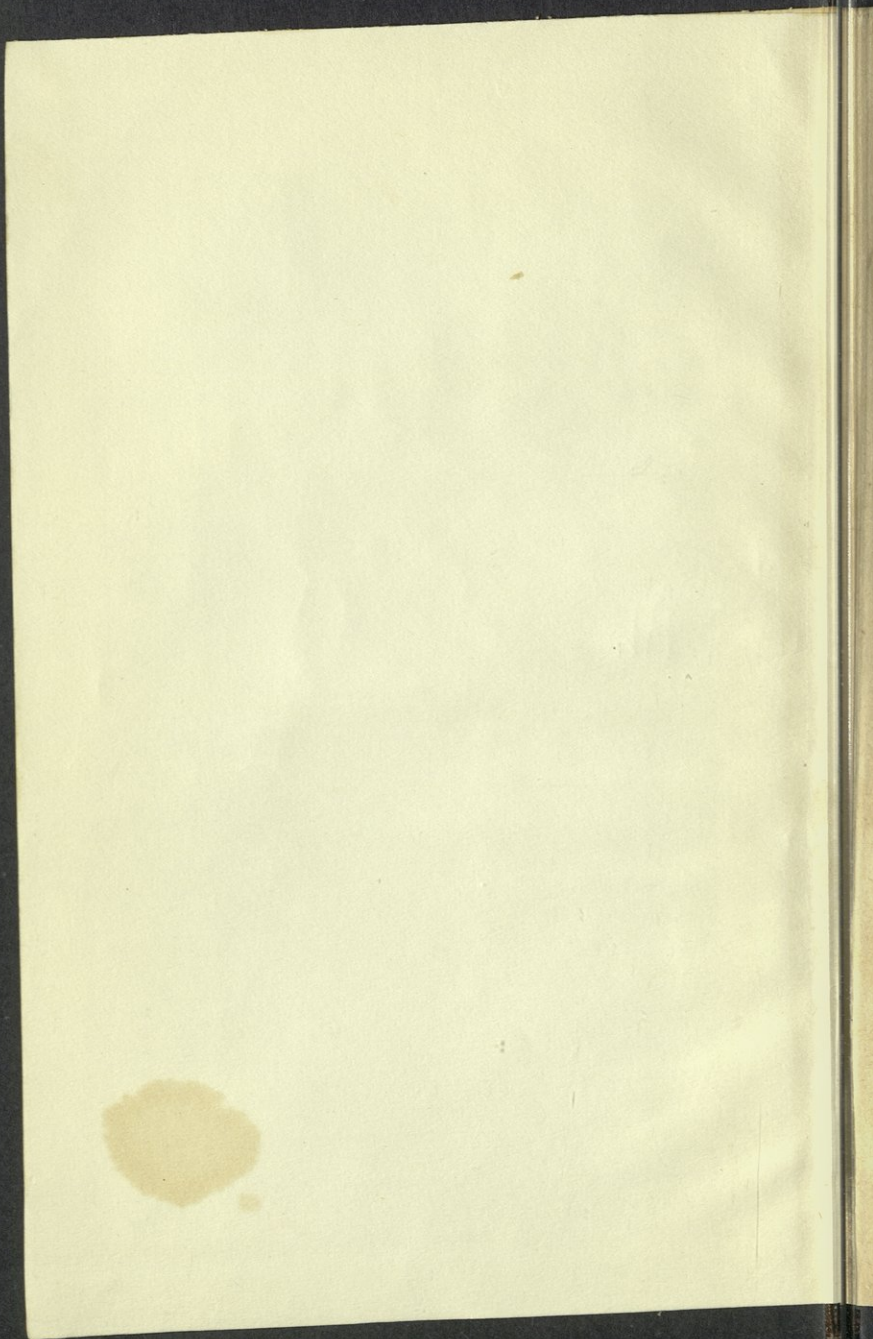
(٦٨) بيلييه : أبو أخيل بطل الإلياذة وقد ولد له من زوجته الآلهة تيتيس .

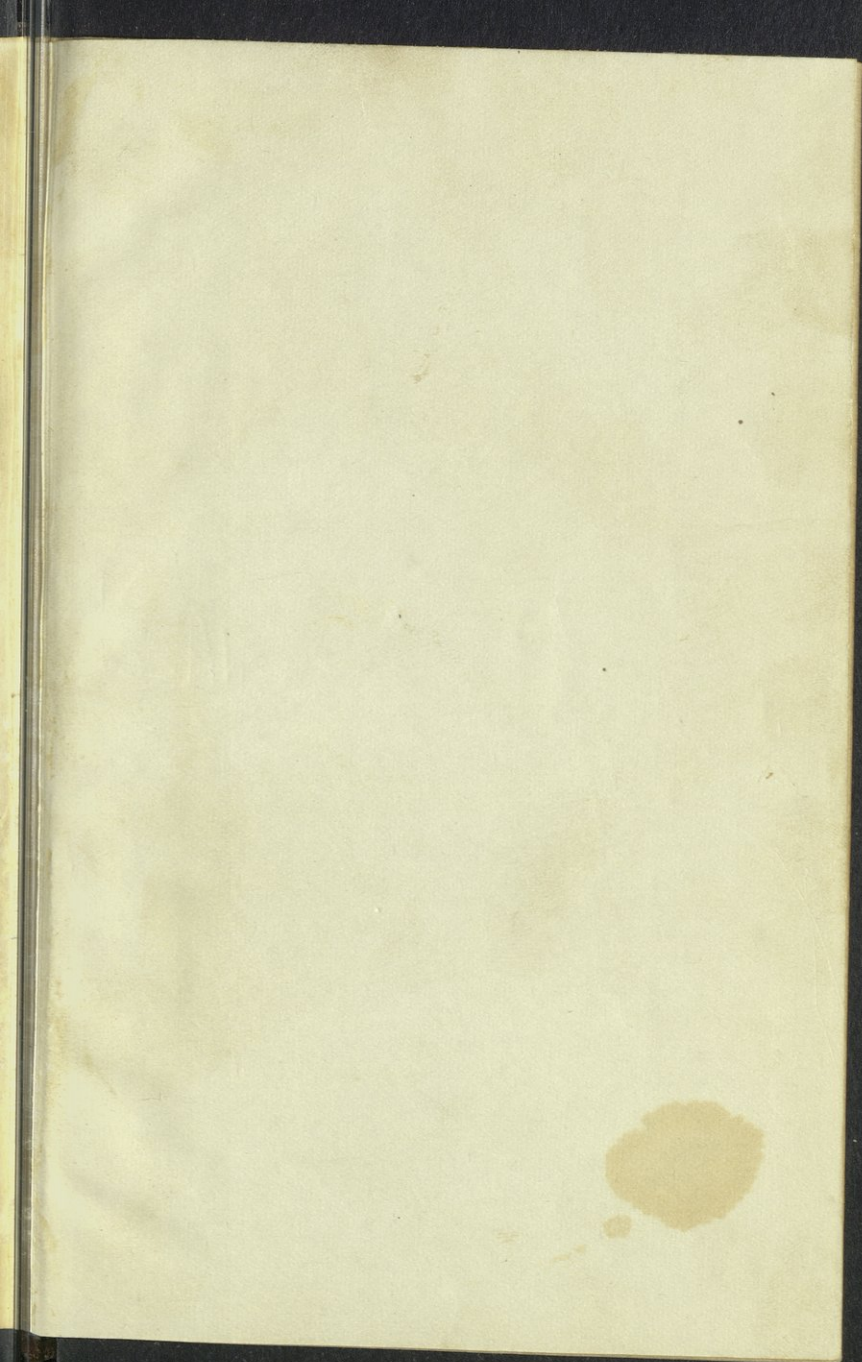
(٦٩) البيوثيون : سكان في بلاد اليونان الوسطى قاعدتها ثيبا وكان اليونان يضربون بهم المثل في اكتفاءهم بحياة الرخاء والغباء .

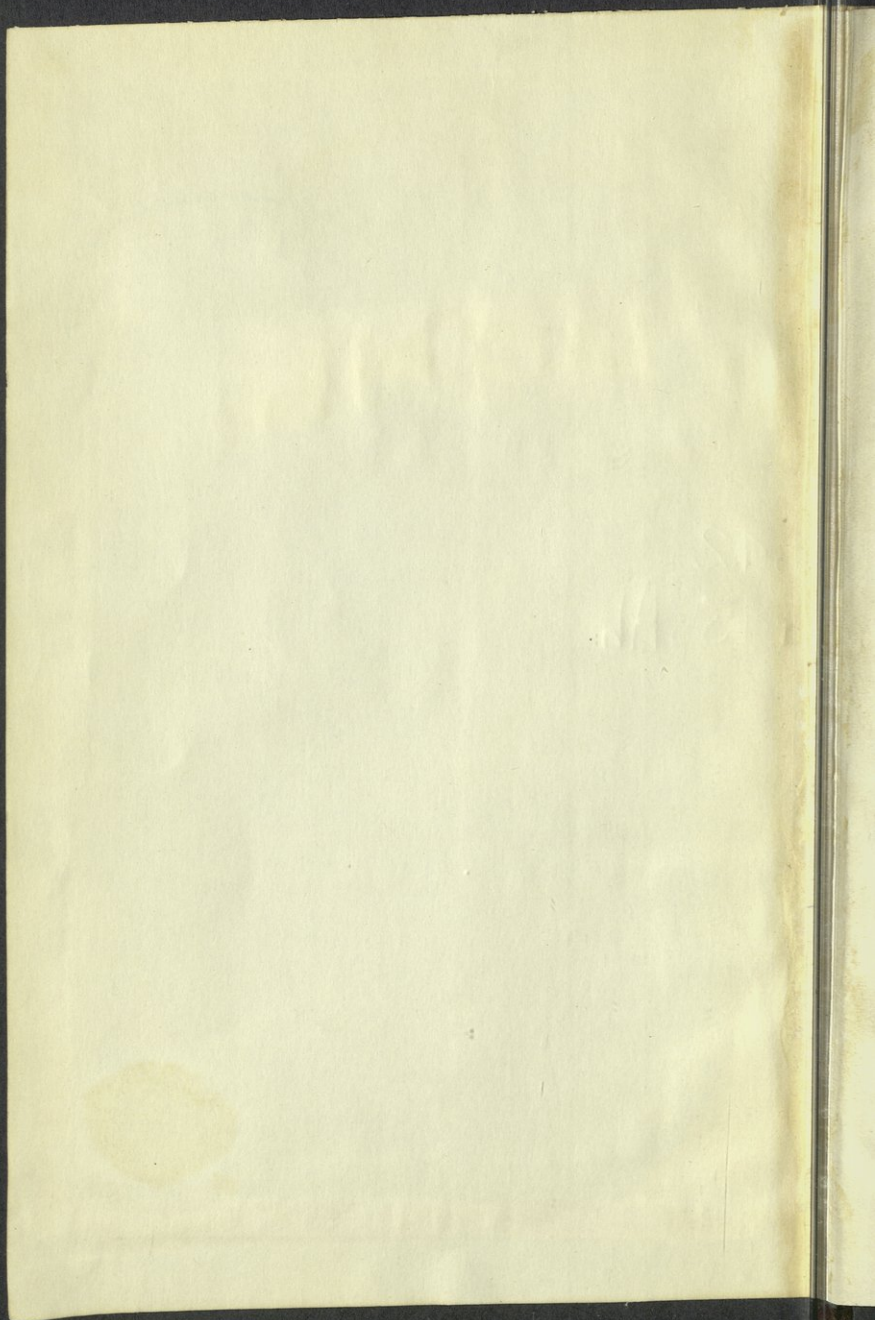
(٧٠) كولونا : ضاحية من ضواحي أثينا .

مطبعة دار الكتب المصرية شركة مساهمة مصرية











542
1950th



842:G450A:c.1

حسين، طه

اوديب، نيسوس

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01032245

842
G450A

